وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

التطور الاجتماعي والعمراني بين المغرب الأوسط والسودان الغربي (القرن 04-09هـ/10-15م)

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في اختصاص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

إعداد الطالبين:
- بوخيط رضا.
- لحسن عيسى.

إشراف الأستاذ:
- د. العمري عبد النور.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
د. حمزة حاجي	محاضر أ	رئيسا.
د. عبد النور العمري.	محاضر أ	مشرفا ومقررا.
أة. صافية حسناوي	مساعدة أ	عضوا مناقشا.

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/ 2020-2021م.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

التطور الاجتماعي والعمراني بين المغرب الأوسط والسودان الغربي (القرن 04-09هـ/10-15م)

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في اختصاص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

إعداد الطالبين:
- بوخيط رضا.
- لحسن عيسى.

إشراف الأستاذ:
- د. العمري عبد النور.

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/ 2020-2021م.


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر وعرفان

بداية نتوجه بالشكر الجزيل للمولى تعالى الذي أنعم علينا بهذا وأعاننا على إنجاز هذا البحث ووفقنا فيه وإليه يرجع كل الفضل.

كما نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل ونخص بالذكر الأستاذ الدكتور **"عبد النور العمري"** الذي أفادتا بنصائحه وإرشاداته القيمة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كافة الأساتذة والدكاترة في قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ بجامعة المدية، الذين أفادونا بنصائحهم وتوجيهاتهم العلمية ودعمهم المعنوي حتى نهاية هذا المسار البحثي ونسأل الله أن يبارك هذا العمل وليجعله خيرا للبحث العلمي وأن يوفقنا إلى ما فيه خيرا وصلاحا لنا .

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم.

الحمد لله الذي وهبني الصبر والمقدرة ووفقني لإتمام هذا العمل المتواضع والذي كان ثمرة طيبة لسنين الدراسة.

إلى جدي وجدتي رحمهما الله وجعل قبريهما روضة من رياض الجنة

إلى مـــــن علمني الصبـــر والنجاح والمثابرة، والدي العزيز.

إلى نبع الحنان، إلى معنى العمل والتفاني وسر البسمة والحياة، إلى من كان دعاءها سر نجاحي، إلى أغلى الناس أمي الحبيبة.

إلى أغلى الناس في حياتي إخوتي وأخواتي .

إلى رفقاء دربي ورمز الصداقة والأخوة الذين سعدت برفقتهم ومعرفتهم وتعلمت منهم الكثير أصدقائي من داخل الجامعة وخارجها.

إلى كل عائلتي الكبيرة وكل زملاء العمل.

الطالب: رضا بوخيط.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى

كل أفراد أسرتي.

إلى صديقي وزميلي في المذكرة.

إلى كل الأصدقاء، ومن كانوا برفقتي ومصاحبتي أثناء دراستي في الجامعة.

وإلى كل من لم يدخر جهدا في مساعدتي.

وإلى كل من ساهم في تلقيني ولو بحرف في حياتي الدراسية.

الطالب: لحسن عيسى

الرمز	المعنى
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تق	تقديم
ع	العدد
ج	الجزء
مج	المجلد
ط	الطبعة
د د ن	دون دار النشر
د ت	دون تاريخ
ص	الصفحة
ص – ص	صفحات متتالية
م	ميلادي
هـ	هجري
Ibid	نفس المرجع
Op . cit	المرجع السابق
p	الصفحة

مقدمة

أ/ التعريف بالموضوع :

إن التطور الحضاري لبلاد السودان الغربي بتعدد مجالاته سواء الإقتصادية أو الإجتماعية أو حتى الثقافية والدينية ،بعد دخول الإسلام كان ولازال يشكل موضوعا جوهريا لما يحظى به من أهمية بالغة لدى الباحثين وحتى لدى الشعوب الإسلامية لمعرفة بلاد الإسلام والمسلمين، فقد برزت علاقة قوية خاصة من جانب بلاد المغرب الأوسط، فبفعل هجرة بعض العلماء وإستقرارهم ببلاد السودان تمكن هذا الأخير من تحقيق التقدم والإزدهار في العديد من المجالات وأسهم في تماسك المجتمع بتغير العديد من المظاهر والعادات.

ب/ دواعي إختيار الموضوع:

إن إختيارنا لهذا الموضوع جاء لعدة أسباب ذاتية وأخرى موضوعية جعلتنا نختار هذا الموضوع كمذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، فأما عن الدوافع الذاتية فهي رغبتنا في معرفة تأثر بلاد السودان الغربي ببلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط خصوصا، بالإضافة إلى التشجيع الذي لاقيناه من طرف الأستاذ المشرف و الذي كان بالنسبة لنا المشجع الأول في المضي في هذا البحث.

أما عن الأسباب الموضوعية فهي كثيرة أهمها: رغبتنا الملحة في إثراء مكتبة جامعة المدية بهذا الموضوع ، ونفض الغبار عن أحد أهم المواضيع التي حظيت بأهمية بالغة من طرف الباحثين وماتزال بحاجة للبحث والتوسع أكثر، فإرتأينا أن نبين العلاقة التاريخية التي تشكلت بين المنطقتين في جميع المجالات، ومحاولتنا الخروج عن دراسة المواضيع الكلاسيكية إلى دراسة موضوع جديد من حيث المنهجية والطرح.

ت / أهمية الدراسة :

يعتبر موضوع **"التطور الاجتماعي والعمراني بين المغرب الأوسط والسودان الغربي"** من بين المواضيع الهامة في التاريخ الإسلامي، فهو موضوع متجدد، بحيث يكتسي أهمية بالغة عرّفت بالعلاقة القائمة بين قطبين مهمين فالبلاد الإسلامية البلاد العربية.

ث/ الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

كان الحيز الجغرافي لموضوع الدراسة واسعا نوعا ما حيث شمل بلاد المغرب الوسط وبلاد السودان الغربي جنوب الصحراء، أما الإطار الزماني للدراسة فهو يشمل الفترة الواقعة بين القرن الرابع هجري والقرن التاسع هجري. أي ما يوافق الفترة الواقعة ما بين القرن العاشر ميلادي والقرن الخامس عشر ميلادي.

ج/ الإشكالية: إنّ موضوع الدراسة استوجب علينا طرح إشكالية رئيسية وهي: "لأيّ مدى كان التأثير والتأثر واضحا اجتماعيا وعمرانيا بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي ؟".

وحتى نلّم بهذا الموضوع وجميع جوانبه، تمخضت عن الإشكالية الرئيسية أسئلة فرعية:

- كيف إتسمت العلاقة بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي ؟.

- ما هي مظاهر تأثر بلاد السودان الغربي بالمغرب الأوسط خاصة من الناحية الاجتماعية والعمرانية ؟.

- ما هي العوامل التي ساهمت في التواصل الاجتماعي والعمراني بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي؟.

ح/ المنهج المتبع في الدراسة:

وللإجابة على كل تلك التساؤلات أعلاه اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المناهج العلمية يتقدمها المنهج التاريخي الوصفي، باعتباره المنهج المناسب لوصف الأحداث والوقائع التاريخية، ووصفها وفق تسلسلها الزمني، وأيضا المنهج التحليلي في محاولة تحليل الأفكار تحليلا تاريخيا علميا وموضوعيا ومناقشتها لاستخلاص أهم النتائج. كما اعتمدنا على المنهج المقارن من أجل معرفة التأثر بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي.

خ/ الخطة المعتمدة في الدراسة:

اقتضت الضرورة أن نقسم موضوعنا إلى ثلاثة مباحث وكل مبحث ضمّ ثلاثة مطالب وكانت كالتالي:

- المبحث الأول: تناولنا فيه "لمحة عامة عن بلاد المغرب الأوسط اجتماعيا وعمرانيا" ، قسمناه إلى ثلاثة مطالب، المطلب الأول عرضنا فيه جغرافية وسياسة بلاد المغرب الأوسط، والمطلب الثاني ذكرنا فيه التطور الاجتماعي في المغرب الأوسط، أما المطلب الثالث فقد تناولنا فيه التطور العمراني لبلاد المغرب الأوسط.

- المبحث الثاني: الموسوم ب " لمحة عامة عن بلاد السودان الغربي اجتماعيا وعمرانيا"، قسمناه هو الآخر إلى ثلاثة مطالب، المطلب الأول عرضنا فيه جغرافية وسياسة السودان الغربي، وفي المطلب الثاني تطرقنا إلى التطور الاجتماعي لبلاد السودان الغربي، أما المطلب الثالث فتضمن التطور العمراني لبلاد السودان الغربي .

- المبحث الثالث : المعنون ب "دراسة مقارنة بين الأوضاع الاجتماعية والتطور العمراني بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي"، احتوى أيضا على مطلبين، في المطلب الأول تطرقنا إلى تأثير المغرب الأوسط على بلاد السودان الغربي من الناحية الاجتماعية، أما المطلب الثاني تناولنا تأثير المغرب الأوسط على السودان الغربي من الناحية

العمرانية. بعدها وضعنا خاتمة للموضوع وهي حوصلة لما توصلنا إليه من نتائج وأتبعناها بملاحق لها علاقة بموضوع البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع، وآخر ما ختمنا به فهرس شامل لكل ما تحتويه الدراسة.

د/ التعريف بأهم المصادر والمراجع:

تطلب منا إعداد هذا الموضوع أن نرجع إلى العديد من المصادر التاريخية، التي استفدنا منها قدر الإمكان، ومن أهم هذه المصادر نذكر:

– ابن بطوطة من خلال كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار تحقيق: عبد المنعم عريان، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار بيروت للطباعة ،لبنان، 1980. استفدنا منه في المطلبين المتعلقين بجغرافية وسياسة المغرب الأوسط والسودان الغربي وكذا في التعرف على بعض العادات والتقاليد السائدة خاصة في السودان الغربي أي في المطلب الثاني من المبحث الثاني

– السعدي عبد الرحمان، تاريخ السودان. استفدنا منه في المبحث الثاني المتعلق بتاريخ السودان الغربي وتم التعرف من خلاله على طبائع وعادات وتقاليد شعب السنغاي ومن خلاله شعوب السودان الغربي الأخرى.

– كعث محمود، تاريخ الفناش في ذكر الملوك وأكابر الناس اعتمدنا عليه في صياغة المطلب الأول من المبحث الثاني وخاصة في شقه المتعلق بالجانب السياسي في السودان الغربي وبالضبط عن مملكة سنغاي في عهد أسكيا محمد الكبير في نهاية القرن 15م.

– الوزان الحسن الفاسي، وصف إفريقيا ترجمة محمد الأخضر ، الجزء الأول، استقينا منه معلومات حول الظواهر الجغرافية والطبيعية لبلدان المغرب الإسلامي في المبحث الأول المتعلق بالتطور الاجتماعي والعمراني للمغرب الأوسط ولاسيما المطلب الأول حول جغرافية وسياسة المغرب الأوسط...الخ

وإلى جانب المصادر كانت هناك عدّة مراجع أفادتنا كثيرا في دراستنا، أهمها:

– الشكري أحمد، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1230/1430 هـ)، أفادنا في تغطية الجانب الاجتماعي في السودان الغربي وقد أشار إلى مقارنة بين طريقة عيش هذه الشعوب قبل الإسلام وبعد انتشاره , كما أشار إلى علاقة الحاكم المسلم برعيته وأوضح مدى تعلق هذه الشعوب بالإسلام قولا وعملا . وقد استفدنا من بعض المعلومات الواردة فيه في توضيح مدى تأثير المغاربة المسلمين على شعوب السودان الغربي وهو ما أوضحناه في المبحث الثالث.

– بورويبة رشيد، الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، اعتمدنا على هذا الكتاب في المبحث الأول في المطلبين الأول والثاني، فمن خلاله تم التعرف على أهم العادات والتقاليد وكذا بيان التركيبة السكانية، وكذا أهم مدن المغرب الأوسط والقصور وغيرها من المنشات العمرانية التي عرفتها بلاد المغرب الأوسط.

– جودت يوسف عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3–4 هـ/ 9–10م)، الذي ساعدنا في التعرف على تقاليد بلاد المغرب الأوسط وكذا التركيبة السكانية وطبقات المجتمع فيها ,كما اعتمدنا عليه في تحديد أهم المدن والقصور والقلاع والأسوار التي عرفتها بلاد المغرب الأوسط.

– الملاح بشار داوود، التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي من القرن (5–9 هـ/11–15م),استفدنا من هذا المرجع في المبحث الثالث في المطلب الأول, فأبرزنا تأثير بلاد المغرب الأوسط على السودان الغربي في العادات والتقاليد ومعرفة تركيبة السكان وطبقات مجتمع السودان الغربي....الخ

ذ/ صعوبات الدراسة:

واجهتنا بعض العراقيل في مجريات إنجاز هذا البحث، لا تخرج عن الصعوبات التي يواجهها أي باحث أكاديمي ومنها: قلة المصادر التي تناولت بلاد السودان الغربي، بالإضافة إلى بعض الصعوبات التي يتعرض لها جل الطلبة و قمنا بتذليلها.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في دراستنا هذه والتي ما هي إلا عبارة عن محاولة جادة ومتواضعة لموضوع البحث محل الدراسة.

المبحث الأول: لمحة عامة عن بلاد المغرب الأوسط اجتماعيا وعمرانيا.

المطلب الأول: جغرافية وسياسية المغرب الأوسط.

المطلب الثاني: التطور الاجتماعي في بلاد المغرب الأوسط

المطلب الثالث: التطور العمرانى في بلاد المغرب الأوسط.

المبحث الأول: لمحة عامة عن بلاد المغرب الأوسط اجتماعيا وعمرانيا:

المطلب الأول: جغرافية وسياسية المغرب الأوسط:

أولا: الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط:

تشمل بلاد المغرب الأوسط منطقة جغرافية اختلف المؤرخون والرحالة ضبط حدودها خاصة الشرقية منها فكان نهر الملوية يفصلها عن المغرب الأقصى غربا، أما حدودها الشرقية فيذكر ابن خلدون.[1] أنها تبدأ من بونة.[2] فالأوراس إلى تبسة، ويذكر تارة أن جهة الشرق يحدها بلاد صنهاجة من الجزائر متيجة المدية وما يليها لبجاية أي نهر الشلف،[3] ويرى بعض المؤرخين أن الحد الشرقي هو عبارة عن خط وهمي يبدأ من بجاية بإتجاه الجنوب.[4]

ثانيا: التطور السياسي للمغرب الأوسط:

كانت بلاد المغرب الأوسط[5] أثناء الفترة (144-196هـ/761- 813م) منقسمة على ثلاث مناطق: المنطقة الأولى تحت حكم الرستميين (المنطقة الوسطى) المنطقة الغربية خاضعة لقوى محمد بن خزر وتابعة للأدارسة أما المنطقة الشرقية حكمها الولاة العباسيين (184/هـ/800م)،[6] ثم صارت ملكا لدولة الأغالبة حتى تم تأسيس مدينة تيهرت سنة 160 هـ على يد عبد الرحمان بن رستم، وبذلك تعتبر الدولة الرستمية في تيهرت،[7] أول دولة إسلامية تظهر في المغرب الأوسط.

---

1 ـ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر،ج6، د.ط، دار الفكر العربي، لبنان، 2000، ص 200 .

2 ـ بونة: مدينة بافريقية حصينة مقدارها كالأربس على ساحل البحر لها أسواق وأراضيها خصبة فيها معادن كثيرة وبها عدة مزارع اشتهرت بالتجارة. للمزيد أنظر: ابن حوقل، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 77.

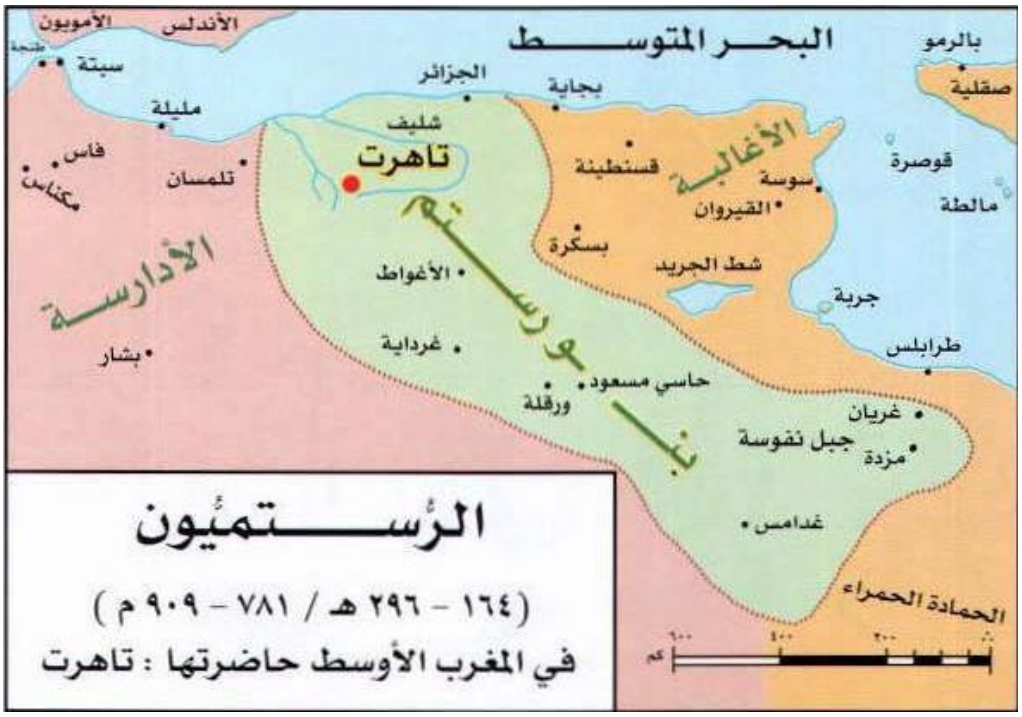
3 ـ خليف عبدكركوت، العامل الاقتصادي في فتوحات المغرب العربي، مجلة الجامعة العراقية، مج 20، ع 01، 2008 ، ص 244 ـ 264 .

4 ـ يوسف جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، (خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين 10/9م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 05.

5 ـ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص.25

6 ـ رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984، ص 76 ـ 129 .

7 ـ تيهرت: مدينة كبيرة آهلة بالجبال والأودية انتشرت فيها زراعة الكتان. للمزيد أنظر: اليعقوبي، كتاب البلدان، المكتبة المرتضية ومطبعتها الحيدرية، ج2، النجف، 1918، ص 113.



خريطة توضح امتدادات الدولة الرستمية ببلاد المغرب الأوسط. صورة مأخوذة من شبكة النت.

https://www.google.com/search

هذا الأخير بن رستم جاء إليها من المشرق رفقة والدته بعد أن استقر بالقيروان كما تشير المصادر، لكن حملة عامل مصر، الذي أرسل جيشين هزم خلالها عبد الرحمان فتوجه للمغرب الأوسط.[1] واحتمى بالإباضية فشرع في بناء مدينة تيهرت، وقد أسهم في الثورة على عمر بن حفص هزاز سنة 151هـ لما ثار بربر طرابلس عليه فاستولوا عليها وواصلو حتى حاصروا القيروان فأيدوه.[2]

بويع عبد الرحمان بن رستم سنة 160هـ ـ 162هـ بالإمامة بعد أن إجتمع رؤساء الإباضية وبعد ان تشاوروا واخلصوا إلى أن يعينوا عبد الرحمان إماما لهم يستندون إليه.[3] وبعد ان حضرته الموت جعل الإمامة شورى في ستة خلصت لعبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم ابنه هذا الأخير تمكن من عقد السلم مع والي افريقية. وقد حضر لمجموعة من الأحداث (الافتراق الأول، مقاومة الواصلية، السفر إلى جبل نفوسة، حصار مدينة طرابلس، الافتراق الثاني، وبعد وفاته تولى الإمامة ابنه الأفلح لمدة 42 سنة، وقد عرفت فترة حكمه العديد من الأحداث كقتال خلف بن السمح وإرسال السفارة إلى السودان وافتراق نفات بن نصر ورحلة أبي اليقضان.[4]

1 ـ يوسف جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984، ص 61- 69

2 ـ مرجع نفسه، ص 06 .

3 ـ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في إختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013، ص 288 .

4 ـ عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب العربي الكبير في العصر الإسلامي، دراسة تاريخية عمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، لبنان، 1982، ص 512.

وبعد وفاته تولى ابنه أبي بكر بن أفلح الحكم لكنه لم يلقى الإجماع نظرا لميله للحياة وتساهله في الأهواء وقد كان محمد بن عرفة يتمتع بشخصية كبيرة فجعله أبي بكر من أهم رجاله رغم أنه كان يكن له العداء الشديد رفقة حاشيته وكانوا يكتمون ذلك وبقيت الحالة كذلك حتى رجع أبي اليقضان الذي أصبح كثير مجالسة أخيه. وقد كان يركب المسجد فعظم قدره ولضعف إدارة أبي بكر إشتد الصراع بين محمد بن عرفة وأبي اليقضان.

هذا الأخير الذي كان مدعما بحاشيته فقتل محمد بن عرفة وقامت حرب أهلية نتيجة لثورات وصراعات إلى أن تم إعلان أبي اليقظان إماما على الرستميين فاستمرت الحرب سبع سنوات وبعد عدة معارك بينه وبين مصالة دون انتصار أحد منهم غير أن ابي اليقظان وبعد أن استجمع نفسه وصار على رأس جيش قوي أوقفت الحرب وطالب السكان بتسليم أنفسهم، ويذكر ابن الصغير أن ابي اليقظان كانت له زوجة وولد شاب كان يجمع الشباب ليكسب ودهم فوجهه أباه ليجبر قوافل الشرق فتمكن منهم بعدها توفي أبي اليقظان فتولى أبي الحاتم الإمامة وقد عرفت فترته العديد من الثورات أهمها عمه يعقوب بن أفلح و بعدها أقاموا الصلح فأجرى أبي الحاتم العديد من الإصلاحات فكسب مكانة لدى الناس جميعا سواء الاباضية أو غيرهم بعدها قتل على يدي أبناء أخيه يقضان سنة 294 هـ، وتولى يقضان الإمامة لكنه لم يعمر طويلا حتى قدم الفاطميون بقيادة أبي عبد الله الشيعي فوضعوا حدا للدولة الرستمية 296 هـ/909م.

تولى أبي عبد الله المهدي الخلافة سنة 297 هـ، وقد وقعت في عهده أحداث أبرزها حملة محمد بن خزر على تيهرت، فبعد الاستيلاء عليها تلقى هذه الحملة من زناتة.[1] بخسائر فادحة، ليتولى أبي عبد الله الحكم، وبعد تعرضه لمؤامرة من أبي عبد الله وأخاه العباس أمر بقتلهم سنة 298 هـ، فثارت عدة اضطرابات بسبب مقل بعض وجهاء كتامة، ثم ثورة سكان تيهرت الذين عينوا محمد ين خزر واليا عليهم فأرسل عبد الله قوات ضخمة إلى تيهرت فولى عليهم مصالة بن حبوس.

كما استمرت الحركة الثورية فثار سكان الجنوب الشرقي من افريقية وصقلية فاستولوا على طرابلس لكن سرعان ما تم القضاء عليهم وولى عليهم أميرا ملأ المنطقة رعبا وهلعا، بعدها شعر المهدي بالأمن فخرج يبحث عن مدينة في الساحل، فأسس المهدية وجعلها موضع ملكه سنة 306هـ، بعدها سعى للسيطرة على أهل المغرب فكتب يدعوهم لطاعته وكتب بمثل ذلك لأمير تكور فرفض ذلك فأرسل إليه مصالة بن حبوس فقهرها (زناتة) حتى أن ظهر محمد بن خزر الذي قصد مصالة فدارت حرب بينهما قتل مصالة على إثرها 312هـ وبعدها شن محمد بن خزر حملة على تيهرت 314 هـ ففشل وهرب نحو الصحراء.

1 ـ محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 238 ـ 243 .

بعد وفاة أبي عبد الله المهدي تولى أبو القاسم محمد القائم بأمر الله الخلافة 322هـ، اختصت خلافته بثورة تيهرت 324هـ، ثم عرفت اختطاط مدينة أشير.[1] وبعدها عرفت حملة ميسور على تيهرت، وهذا عقابا لسكانها على ثورتهم وكذا ثورة أبي يزيد الذي حاول حصار المهدية وقد توفي القائم بأمر الله جراء هذا الحصار فخلفه ابنه إسماعيل. لمدة خلافة سبع سنين 334هـ ـ 341هـ، استمر فيها في قتال أبي يزيد وبعد عدة معارك توفي أبي يزيد 336هـ.[2] فوجه إسماعيل اهتمامه على حميد ابن يصال الذي احتل مدينة تيهرت باسم الأمويين فخلصها كما قاد حملة للقضاء على الفضل ابن أبي يزيد فتمكن من ذك وبعدها توفي إسماعيل بن أبي القاسم، وتولى المعز لدين الله الخلافة.

ومن الأحداث خلال خلافته غارة زيري بن مناد عل تنس وخضوع الأوراس، وحملة جوهر على المغرب، وإختطاط مدن الجزائر المدية مليانة، ثورة زناتة، انتصار بلقين بن زيري على مغراوة وإنتقال الفاطميين إلى مصر.[3]

بعد إنتقال المعز لدين الله إلى مصر استخلف بلقين بن زيري على افريقية والمغرب وتأسست دولة بن زيري وحكم أربعة منها للمغرب الأوسط: بلقين بن زيري 361هـ 374هـ والمنصور بن بلقين وباديس بن المنصور والمعز ابن باديس حتى سنة 408هـ. وتعاقبت عليها تسعة أمراء وكان أولهم حماد بن بلقين ثم القائد بن القائد محسن ين حماد، بلقين ين محمد، حماد بن بلقين، الناصري بن علناس ثم المنصور بن الناصر باديس بن المنصور ثم العزيز بن المنصور ثم يحي بن العزيز.[4]

عرفت مرحلة حكم القائد بن حماد انقطاع العلاقات الزيرية الفاطمية حتو وفاته 446هـ، فعين محسن ابنه خلفا له هذا الأخير لم يطل كثيرا حوالي 09 أشهر ولعل أهم الأحداث التي وقعت: ثورة ابن عمه بلقين يوسف بن حماد، ثورة ابن عمه بلقين بن محمد.[5]

1 ـ محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 42 .

22 ـ علي عشي، ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد بالأوراس صفحة لامعة في كفاح أهل المحافظة في استقلالهم، مؤتمر الأوراس عبر التاريخ بخنشلة يومي 18.2013/02/19، منشورات المتحف الوطني، مج1،الجزائر، 2013، ص 197 ـ 224 .

3 ـ القاضي النعمان، رسالة إفتتاح الدعوى، تح: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص 47.

4 ـ عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سابق، ص 215.

5 ـ رشيد بورويبة وآخرون، مرجع سابق، ص 206.

بعد فتك بلقين بن محمد بمحسن دخل قلعة بني حماد وإستولى على الحكم 447هـ. وقد عرفت المغرب الأوسط في عهده دخول بنو هلال ووصول ممثل الخليفة العباسي للقلعة، وحملة بلقين بن محمد على زناتة. وكذلك ثورة أهل بسكرة وإنتهت بغزو بلقين بن محمد للمغرب الأقصى فدخل فاس ثم رجع إلى المغرب الأوسط.[1]

وقد قتل بلقين بعد أن قتل أخاه مقاتل فإتهم زوجته بقتله فقتلها فأخذ الناصر بن علناس بثأر أخته فقتل بلقين بعد ذلك توجه الناصر إلى قلعة بني حماد و شرع في تنظيم الدولة الحمادية 454 هـ، وقد عرفت فترة حكمه عدة أحداث حتو وفاته سنة 481 هـ وبعده تولى المنصور ابنه مكانه حيث يعد الأمير الحمادي السادس وأمه هي الأميرة الزيرية بلارة، ويذكر ابن الأثير أن المنصور بعد وفاة أبيه كتبت له الملوك للتعزية وتهنئته بالملك منهم يوسف بن تشفين،[2] والمعز وغيرهما كما يذكر ابن الخطيب: أن المنصور كان قائما على أمره وذا خصال حميدة.

بقي المنصور لمدة سنتين ثم انتقل إلى بجاية حيث يشير ابن خلدون أنه كان مولعا بالبناء، وقد أسهم في بناء القصور وإختطاط المباني فيعتبر من بني قصور الملك والمنار والكوكب والسلام في قلعة بني حماد كما ساهم في بناء قصر اللؤلؤة وأميمون في بجاية، تربع المنصور على العرش لمدة 17 سنة.

وقد تميزت عهدته بأحداث عديدة منها: محاربة المرابطين وبني رمانو، ووصل أمير الهربة إلى المغرب وغزو زناتة وناحية بجاية، وبعد وفاة المنصور خلفه ابن باديس على العرش الحمادي 498هـ. وكان شديد البأس حسبما ذكره ابن خلدون لكنه لم يعمر في الحكم لأكثر من سبعة أشهر، ومن أعماله أنه عزل أخاه عبد العزيز من بجاية وأرسله على جيجل وبعد وفاته تولى هذا الأخير الحكم وكان حسن الخلق ومعتدل الطريقة ويميل إلى السلم حسب ما ذكره ابن الخطيب ويشير ابن خلدون أيضا لذلك حينما قال: أن العزيز صالح زناتة وصاهرهم، ولعل الأحداث الهامة التي ميزت فترة حكمه: زواج العزيز من ابنة الأمير الزيري يحي، الغزو الحمادي لإفريقيا، غزو بني هلال لقلعة بني حماد حتى توفي سنة 515هـ، فتولى ابنه يحي يحي الحكم.

ويذكر ابن خلدون أن يحي كان ضعيفا محبا للنساء ومولعا بالصيد مغلبا للحياة تولى الحكم 33 سنة لكنه يعد أخر أمير حمادي بعد أن تم غزو المملكة الحمادية وإعلان سقوطها 547 هـ على يد الموحدين.

1 ـ عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 508.

2 ـ يوسف بن تاشفين: 410 هـ ـ 500هـ: ابن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري أبو اليعقوب أمير المسلمين، سلطان المغرب الأقصى، مؤسس دولة المرابطين، للمزيد أنظر : خير الدين الزركلي، الأعلام، ج8، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002، ص 222.

كما أن بلاد المغرب الأوسط عرفت تواجد المرابطين،[1] حيث استولوا عليها وهذا بالرغم من أن المرابطين لم يولوا اهتمامهم لقضايا المغرب الأوسط إنما إكتفوا بالتحالف مع القبائل الزناتية وسعوا بإستعمالها للدفاع عن حدودهم الشرقية حيث أنهم كانوا يولون أهمية للأراضي الإسلامية بالأندلس لحمايتها من النصارى مما أضعف سلطة المرابطين فتحا لفوامع الحماديين فوقعوا الصلح بين الدولتين 37 هـ، وبقي السلم قائما بينهما، فعين يوسف بن تاشفين مزدلي واليا على تلمسان فرضي المنصور بذلك بعدها تعرضت دولة المرابطين لهجوم الموحدين فكانت نهاية الحماديين والمرابطين سويا على يد الموحدين الذين أسسهم المهدي ابن تومرت 515هـ.[2]

سعى هذا الأخير لتنظيم حركته سياسيا وعسكريا حيث بدأ بالإصلاح الديني، وبلغ مبتغاه فاستطاع أن يمكن دعوته في نفوس سكان القبائل وجعلهم ينفذون تعليماته ويخضعون لطاعته بعدها انتقل إلى تنميل شمال منطقة السوس الأقصى وجعلها مقرا لدعوته فبايعه الناس فاهتم بالأمور الأخرى واستطاع أن يشكل قوة لا يستهان بها، فحارب المرابطين في السوس الأقصى.[3] فتارة يهزمهم وتارة يهزمونه، اصيب في معركة البحيرة ثم توفي بعد خبر هزيمة جيشه، ثم حاول أتباعه المواصلة فعينوا عبد المؤمن بن علي[4] خلفا له ليواصل جهود تأسيس الدولة.

كانت له كفاءة حربية مكنته من مقاومة جيوش المرابطين لسنين عديدة، وفي سنة 535هـ قاد حركة كبيرة للموحدين فتمكن من الإستيلاء على بلاد تادلا وفازاز والربق ثم توجه نحو المغرب الأوسط، وبحنكته إستطاع هزيمة المرابطين والتوغل نحو المغرب الأوسط.

1 ـ مقتدار حمدان عبد المجيد، روايات ياقوت الحموي عن دولة المرابطين 448هـ/541هـ ـ 1056م/1146م، مجلة الدراسات التاريخية والأثار، ع50، بغداد، 2015، ص 313 ـ 334 .

2 ـ ابن تومرت المهدي: البربري أبو عبد الله الملقب بالمهدي أو مهدي الموحدين مؤسس الدولة الموحدية، أنظر: الزركلي، مصدر سابق، ص 229.

3 ـ السوس الأقصى: هي مدينة تامدلت يقال أنها بلد خصب مبيئ بالمزارع والأراضي الخصبة انتشرت فيها التجارة سكانها من بربر صنهاجة، فيها مسجد عرف بمسجد بهلول، أهلها يسمون الملثمون، أنظر: اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص 112.

4 ـ عبد المؤمن بن علي: هو عبد المؤمن بن العلوي الكومي القيسي، سلطان المغرب والأندلس أمير الموحدين كان ملكا عادلا سياسيا ، ويهتم بالجهاد امتد ملكه للمغرب الأقصى وأدناه توفي 518 هـ، أنظر: شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص 141.

ورغم إمداد الحماديين للمرابطون سنة 539هـ إلا أنهم منوا بهزيمة شنعاء، وبعد وفاة تاشفين بن علي استولى عبد المؤمن بن علي على وهران ثم تلمسان بعدها إستقر عبد المؤمن بمراكش لبضعة سنين بغرض تنظيم شؤون دولته وقمع بعض الثورات التي قامت في السوس الأقصى.[1]

كما عني بشؤون الأندلس وصد خطر النصارى وفي سنة 545هـ بويع من طرف الأندلسيين في مدينة سلا، بعدها توجه نحو المغرب الأوسط وإفريقية فإستطاع أن يستولي على المهدية بعد صده لخطر نصارى صقلية ولضعف أحوال بني زيري وبنو حماد ثم استولى على مليانة، الجزائر، بجاية ثم فتح قلعة بني حماد عنوة بعدها أصبح الموحدون أسياد على المغرب الأوسط فتوجه نحو الأندلس لمواجهة النصارى الإسبان لكنه توفي 558 هـ بسلا فبقي جهادهم هدفا لخليفته ابنه يوسف بن عبد المومن.

كما أن إختلافهم مع فقهاء المالكية أدى إلى إنتشار ثورات ساهمت في ضعف الموحدين حيث تعد ثورة بني غانية 580 هـ من أسهمت في انفصال افريقية ثم المغرب الأوسط عن الموحدين فتوالت الهزائم حيث تأسست إمارة الحفصيين بإفريقية بعد أن بايعوا يحي المعتصم 627 هـ ثم 628 هـ بويع أبو زكرياء بن عبد الواحد الحفصي بالإمارة، فتم إنفصال إفريقية عن الموحدين، كما ظهرت كذلك إمارة بني زيان في المغرب الأوسط حيث أنهم استغلوا ضعف الموحدين، وساهمت في ذلك الظروف السياسية حيث وقع خلاف بين الموحدين أضعفهم، وفي سنة 633 هـ أعلنت قيام دولة بنو عبد الود أو الزيانية وسقوط الموحدون بالمغرب الأوسط.

وعرفت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط حركة غزو من المرنيين حيث تقلص نفوذهم وتعرضوا لحصار، بعدها تولى أبو حمو موسى الأول استرجاع النفوذ وتأسيس الدولة الزيانية في المغرب الأوسط فتعرض لغزو مريني عن طريق أبو الحسن ثم أعاد أبو حمو الثاني إحياء هذه الدولة سنة 760هـ، وبعد عدة معارك أضعفته وأدت بالبلاد للإنحطاط كما أن الصراع القائم بين أبي حمو وابنه أبي تاشفين فولت تدخلات المرينيين واستمر نفوذهم، كما أن الحركة الحفصية التي تعرضت لها هذه الدولة 796هـ أضعفت أيضا كيان الدولة الزيانية. بعدها تعرضت لخطر هجمات النصارى على بلاد المغرب كلها، وأدت إلى سقوط الدولة الزيانية سنة 962هـ بعد أن خلع الأتراك السلطان الحسن بن عبد الله بن محمد الثاني آخر أمراء بني زيان.[2]

1 ـ علي عشي، تكتيك وإستراتيجية عبد المؤمن بن علي العسكرية في حروب حصار مهدية وسقوطها أنموذجا، الملتقى الدولي للنظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى العصر العثماني، جتمعة الجزائر ، مجلة الدراسات التراثية، مج5، الجزائر، 2014، ص 119 ـ 226 .

2 ـ عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 789.

وهكذا نرى أن الامتداد الجغرافي للمغرب الأوسط وتعاقب الدويلات عليه أسهم في اكتساب المنطقة تاريخ حافل بالأحداث السياسية والعسكرية، كما ساهم في تأثيرها نحو الأندلس والسودان الغربي.

المطلب الثاني: التطور الاجتماعي في المغرب الأوسط:

عرف المجتمع في المغرب الأوسط بتعدد أجناسه وتعدد الأديان والمذاهب وكذا تعدد وإختلاف أنماط المعيشة وكذا العادات والتقاليد التي حكمت هذا المجتمع من خلال هذا يمكننا إبراز أهم مقومات مجتمع المغرب الأوسط على مر العهود والدويلات التي عرفتها المنطقة.[1]

أولا : التركيبة السكانية :

احتوى المغرب الأوسط على تركيبة سكانية مختلفة بإختلاف العهود والدويلات التي عرفها مجتمع المغرب الأوسط[2] ولعل أبرزها:

1 ـ أيام الدولة الرستمية: لقد تنوع وكثر سكان مدينة تيهرت وهذا بإختلاف عناصرهم وأجناسهم فقد كانت الأسر المراسية والصنهاجية التي استطانها قبل وصول عبد الرحمان بن رستم وكذا أسر أخرى من لماية، زناتة، سدراتة وهوارة وزواغة وجبل نفوسه كما سكنها أيضا من القيروان ومن بسكرة والكوفة ومن فاس.[3]

2 ـ أيام قيام الدولة الحمادية : عرف المغرب الأوسط أيام الدولة الحمادية تركيبة سكانية مختلفة الأجناس ولعل أبرز سكانها قبائل تلكانة وكتامة وزناتة وهذا قبل وصول بني هلال فتلكانة قلعة بني حماد تسكن المغرب الأوسط، وكانت تمتد من شرشال إلى مرسى الحجاج، ومن وادي الشلف إلى القبائل الكبرى ومن وادي الشلف إلى البيبان ناحية الحضنة وتتولى الأمر في أشير مليانة، الجزائر، المدية والمسيلة وكانت كتامة بنوز لدوي ساكنين في الجبال المشرفة على جيجل والمتميزيين بشجاعتهم، أما القبائل الزناتية نجدها بالمسيلة، وبسكرة وجبل الأوراس ونقاوس وسطيف، وعلى الطريق التي تؤدي من أشير إلى تنس بين برشك وشرشال وبين تيهرت وتلمسان وفي هوارة وتهوذة والغدير ومكناسة بجبل الأوراس ولواتة بجبال بجاية وربيعة بين برشك وشرشال ومطغرة على الطريق التي تؤدي من تنس إلى أشير وبنو بلومي من ناحية الشلف وعدة قبائل زناتية كانت تسكن بين تلمسان وتيهرت.[4]

---

1 ـ رشيد بورويبة وآخرون، مرجع سابق، ص 109.

2 ـ محمد بن عميرة، مرجع سابق، ص 05.

3 ـ يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 05 ـ 09.

4 ـ رشيد بورويبة و آخرون ، مرجع سابق ، ص 203 .

3 ـ أيام قيام الدولة الموحدية: احتوت الدولة الموحدية في المغرب الأوسط على مجموعة من السكان رغم إختلاف أجناسهم وتعدد وتنوع قبائلهم فنجد قبيلة الهرغة وهي قبيلة المهدي ابن تومرت والتنمال، وهم القبيلة التي أسس بها المهدي أول عاصمة للموحدين وكذا القدميون وهم قبيلة عبد المؤمن بن علي وقبائل أخرى كالعنفيسة والهنتانة والحزمير والهيلانة والحزارقة هذه القبائل مكنت من تكوين مجتمع الموحدين ثم توسعت حتى عمت أرجاء المغرب الأوسط.

4 ـ أيام قيام الدولة الزيانية: تنتمي الدولة الزيانية إلى الأصل البربري حيث تعد قبيلة زناتة هي المكون الرئيسي لسكان هذه الدولة حيث جمعت من بطونها مغراوة وبني يفرن ومديونة ومغلية وكومية ومطغرة ومطماطة وبنو ومانوا، وبني يلومي وبني عبد الواد وتوجين من بني مادين ولهاصة ورفجومة.[1]

ولعل مواطن هذه القبائل البربرية في المغرب الأوسط خلال القرن الثامن هجري:

ولهاصة ورفجومة وغيرهم سكنوا ساحل تلمسان، ونغزاوة بقي منهم بساحل برشك أما لواتة فاستقروا بجبل الأوراس، وقد كانوا أمة عظيمة أما مضغرة فسكنت ما بين تلمسان وفاس ومنهم من نزلوا بصحراء المغرب ومديونة كانت جمهورهم بنواحي تلمسان ما بين جبل بني راشد إلى الجبل المعروف بقبلة وجدة ومواطن كومية من البحر من ناحية أرشكول وتلمسان وزواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة أما قبائل هوارة فقد نزلوا الجبل المطل على البطحاء المشهور بجبل هوارة و كذا ملوسة من قبائل كتامة بنو زيدوي أهل الجبل المطل على قسنطينة، بنوريغة سكنوا الزاب بنو سنجاس من مغراوة سكنوا الصحراء.[2]

ثانيا: طبقات مجتمع المغرب الأوسط:

إنقسم المجتمع في المغرب الأوسط أيام الدولة الرستمية إلى فئتين:

أ ـ أهل البادية: قبائل منتشرة في بوادي المغرب الاوسط، وأهل البادية يعرفهم ابن خلدون على أنهم المتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام ويقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس ويتخذون البيوت من الوبر والشعر أو الطين أو الحجارة وهم إما طواعن أو مستقرين.[3]

1 ـ زهوة أعزيبي، ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني 633هـ ـ 962هـ/1235م ـ 1554م، اطروحة دكتوراه، جامعة المسيلة، الجزائر، 2017، ص 03-07.

2 ـ المرجع نفسه، ص 9 .

3 ـ يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 247.

– **قبائل طاعنة:** هم الرحالة حيث أنهم قبائل انتشرت بين تاهرت وتلمسان مثل: لواتة، قبائل زناتة، قبائل كتامة، هذه القبائل تفضل التنقل من مكان لآخر.

– **قبائل مستقرة:** وهي التي اتخذت أماكن لها واستقرت وسكنت تجمعات سكانية، أبرزهم العلويين قرية بني وايفن وعين الصفصاف وريغة شرق تلمسان وبعض قبائل هوارة ولواتة ونواحي تاهرت.

– **أهل الحواجز:** هم السكان الذين يسكنون بيوتا من حجر أي المدن.

1 ـ طبقات المجتمع البدوي: يعتبر أفراد القبيلة متساويين في الاستفادة من الموارد الاقتصادية كالمراعي والأبار والعيون كما أن القبائل كانت تقوم بعمليات الغزو وسلب فبرزت فئة تمتاز بالشجاعة والقوة فحظيت هذه الفئة بإمتيازات وعليه فطبقات المجتمع البدوي كانت كالتالي:

– **الأثرياء:** من يمتلكون ملكية كبرى وهم من الشجعان، يرثون الماشية والممتلكات خلفا عن سلف.

– **عامة الناس:** وهم متساويين في أوضاعهم.

– **الموالي:** وهم الذين لا يحملون دم القبيلة.

– **العبيد:** وهم من الأسرى أو أتباع أسيادهم.

ب ـ أهل الحضر: وهم سكان المدن حيث أن الاستقرار يعد عاملا مهم في المجتمع الحضري، فبعض القبائل اتخذوا هذا سبيلا واعتمدوا على التجارة او الغزو احيانا. كما أن مجتمع الحضر جمع في أطيافه مختلف السكان باختلاف قبائلهم وأجناسهم وأديانهم، وجمعت بينهم روابط ومصالح مشتركة فقد جمعت مدينة تاهرت شرائح مختلفة من السكان وقد قسم المجتمع الحضري إلى طبقتين[1] هي:

– **طبقة عامة:** عامة الناس من أصحاب الحرف والفلاحون وأصحاب الماشية والمزارعون وأصحاب الملكيات الصغيرة وصغار التجار والفتيان المرابطون وأصحاب الدين، العبيد (السودان، الصقالية).

– **طبقة خاصة:** يعتبر الإمام الرستمي أو الأمير العلوي ثم الوالي الفاطمي والأمير الزيري.. قمة الهرم يليه أعوانه من وزراء ورجال الدولة وقادة الجيش وأبرزها فئة الرؤساء، فئة المشايخ، الوجوه، المقدمون الحجاب، الحاشية، الحرس، الشرطة، القضاة، الجنود، أهل العلم، كبار التجار، كبار الملاك، الموالي.

وقد امتد هذا التقسيم الطبقي لمجتمع المغرب الأوسط من دولة الرستميين حتى الحماديين.

1 ـ يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 270.

2 ـ طبقات المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي:

يشر المرخون إلى أن المجتمع الموحدي إنقسم إلى أربعة عشر فئة [1] وهي:

- مجلس العشرة.
- مجلس الخمسين.
- مجلس السبعين.
- الطلاب: رجال الأدب و المتعلمين.
- الحفظة أم المتعلمين الصغار.
- أهل الدار وهم حاشية المهدي.
- الهرغة وهم قبيلة المهدي والمتبنية لعيد المؤمن.
- التنمال وهم الذين استظافوا المهدي وكانت قريتهم أول عاصمة موحدية.
- القدميون: هم القبيلة التي يحكمها عبد المؤمن.
- العنفيسة.
- الهنتاتة.
- القبائل: الحزمير ، الهيلانة، الخزارقة.
- الجند أو الجيش النظامي.
- الفرات أو الشباب الأمي.

كما قسم عبد المؤمن ببن علي أيضا المجتمع الموحدي إلى ثلاث طبقات:

- موحدي الساعة الأولى السباقون الذين بايعوا الإمام المهدي وساندوه وحاربوا معه وحضروا معركة البحيرة.
- الذين أيدوا الحاكم بعد معركة البحيرة.
- الذين خضعوا بعد إستيلاء عن مدينة وهران.

1 ـ رشيد بورويبة وآخرون، مرجع سابق، ص 332 .

كما أن الرسائل التي وجهت للمجتمع الموحدي تبين كذلك الطبقات التي سادت المجتمع:

- العامة.
- الطلاب.
- الشيوخ.
- الخاصة.
- الأعيان.

وعليه نستنتج أن طبقات المجتمع الموحدي تختلف من مدينة لأخرى.

3 ـ طبقات مجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني: انقسم المجتمع لستة طبقات[1] وهي:

طبقة الحكام: وهم الوزراء والأمراء والولاة وهم من عصبية واحدة.

رجال الدين: من فقهاء وخطباء وقضاة وظهرت نتيجة لحاجة المسلمين القيام بواجبات دينية.

طبقة أرباب السيوف: الجيش أو الذين إنشغلوا بالحرب، أصبحت لهم إمتيازات مثل ركوب الخيل.

طبقة أرباب القلم: الكتاب والذين ينشغلون بالدواوين بتلمسان.

طبقة ذوي المهن: من سكان المدن أصحاب الحرف والتجار، ساهموا في نهضة صناعية وتجارية.

طبقة الفلاحين والتجار: وهم غالبية السكان حيث أن العصور الوسطى كانت تعتمد على الزراعة بينما الصناعة ظهرت في العصور الحديثة.

ثالثا: العادات والتقاليد: تعددت وتنوعت عادات وتقاليد مجتمع المغرب الأوسط وهذا نظرا للتباين الحاصل بين سكانها وإختلاف أجناسهم وتنوع ثقافاتهم ومن أبرزها نذكر:

1/ الزواج: لم تختلف عادة الزواج في بلاد المغرب الإسلامي في القرون الأولى عن ما هو عليه الآن حيث إذ إختار شاب فتاة ورضيها زوجة له أرسل وفدا لخطبتها من ولي أمرها، غير أنها لم تكن عامة، ففي بعض الأحيان كانت

1 ـ رشيد بورويبة وآخرون، مرجع سابق، ص 489 .

ظاهرة وهي أن يتبادل الشاب الغرام مع فتاة حيث يصف ابن خلدون أن بيئة المدينة بما فيها من إختلاط وتعدد الأجناس أذهبت الحشمة.[1]

وكان الشاب يراعي أن تكون خطيبته بمستواه الاجتماعي والاقتصادي فيخطبها برضاها وإذا تم الاتفاق عقد القران ويحضره جمع من المدعوين ويقدم الشاب مبلغا من المال وهدايا، ويقوم الكتاب بكتابة عقد النكاح، وبرزت هذه السمة في المدن عكس الأرياف والقرى التي يكتفون بقراءة الفاتحة بحضور الشهود دون كتابة القد، كما لم يحدد الصداق حيث يختلف باختلاف مستوى الزوج.

2/ مكانة المرأة: حظيت المرأة بمكانة محترمة في مجتمع المغرب الأوسط سواء في البادية أو المدينة ولم تظل عالة على المجتمع وخادمة للرجل فقط بل كانت تساهم في الإنتاج من خلال قيامها بأعمال يدوية كالنسيج والغزل والأعمال الفلاحية كما أنها كانت تشهد مجالس العلم.[2]

3/ الولائم: إعتاد سكان بلاد المغرب الأوسط أن يقيموا الولائم في مناسبات مختلفة منها:

أ/ الوفاة: كانت عائلة المتوفي تعد وليمة يدعى لها الناس صدقة على روح المتوفي وللترحم عليه.

ب/ إزدياد مولود: يقيم والد المولود وليمة في اليوم السابع بذبح شاة ربعها للقابلة ويوزع الباقي على الجيران.

ت/ الختان: يقوم والد الطفل بإعداد وليمة بمناسبة ختان إبنه وتعتمد على حالة الرجل ماديا.[3]

4/ المأكولات والمشروبات: اعتمدت على منتجات زراعية وحيوانية في إعداد الأطباق ويختلف حسب تفاوت الأسر لمستواهم، فانتشرت عديد المأكولات كلحم الدجاج بالزيتون، الفول المطبوخ، السلق المطبوخ بالحمص والجزر أو الفول، الخبز المسقى بشوربة البقول أو الخبز والتمر، كما جمعت من البرية بقلها وطبخه على النار. أما الأثرياء منهم كانوا يجلسون احيانا إلى خروف مشوي، كما راجت مأكولات شعبية كالكسكسي وغيرها.

وانتشرت مشروبات عديدة، بعضها يؤخذ من نباتات طبيعية، كما كانوا يشربون نبيذ الشعير والحنطة وبعض الفواكه كالتمر والعنب، كما شربوا القهوة، فقد تعددت المأكولات والمشروبات حيث لا يمكننا حضرها.[4]

1 ـ يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 315.

2 ـ المرجع نفسه، ص 318.

3 ـ المرجع نفسه، ص 319.

4 ـ المرجع نفسه، ص 323.

5/ الملابس: تشير مختلف المصادر إلى نوع اللباس الذي ساد المغرب الأوسط ورغم قلتها إلى أن اللباس الذي كان بارزا هو عبارة عن ثوب من الكتان والعمامة، كما كانوا يرتادون البرانس المصنوعة من الصوف كما لبسوا الجبة والسراويل والأقمصة ولبسوا النعال وتختلف الملابس باختلاف السكان.[1]

6/ الكرم: يرى بعض الباحثين أن ظاهرة الكرم إنتشرت في البدو على فقره و بساطته عكس الحضر وتعد من الصفات الحميدة التي عمت بلاد المغرب الأوسط قاطبة، حيث أنه إذ وضع الأكل يأكل الضيف حتى ينتهي ليأكل أصحاب العائلة بل ينفرد في بعض الحالات بالأكل.[2]

7/ الشرف: يعتبر الشرف من الصفات الملازمة لمجتمع القبيلة يتوجب المحافظة والحرص عليه فقد كان الإعتداء على شرف المرأة يعد عارا ويعاقب عليه حتى بالقتل.

8/ تشجيع العلم: أولى الأمراء إهتماما بالعلم فقد كان طلبة العلم يتحملون كشاق السفر ويرحلون إلى المشرق الإسلامي كما أن القبائل كانوا يبذلون الجهد في معاونة الطلبة بالهدايا والتحف.[3]

9/ الأمانة: لازمت مجتمع المغرب الأوسط وهذا راجع لتعاليم الدين الإسلامي فقد كان الفرد يتصف بالصدق ويحافظ على الأمانة، وقد اتصفت بالبداوة لأنهم لا يعرفون المداراة والتحايل.[4]

10/ حسن الجوار: تعد هذه الظاهرة صفة طبيعية في المجتمع الإسلامي نظرا لما ورد في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي تحث على ذلك، ومن جهة فإن الجيران ينتمون لقبيلة وعشيرة واحدة ومنهم مرتبطون ببعضهم برباط الدم. كما أن التكافل واجب وطبيعي.[5]

11/ النظافة: حث الإسلام على النظافة فمن الطبيعي أن يكون المسلم نظيفا ما دام يتوضأ يوميا ويتطهر من حين لأخر فقد لاقت هذه الصفة إقبالا من السكان ودليل ذلك الحمامات التي انتشرت في كل مدينة بالإضافة إلى الحمامات الخاصة التي تقام في المنازل.[6]

---

1 ـ إبن عذاري المراكشي، مصدر سابق، ص 158.

2 ـ ابن خلدون، مصدر سابق، ص 22.

3 ـ يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، 304.

4 ـ الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح : إبراهيم محمد الصلابي، ج1، د.ت. ص 193.

5 ـ يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 309.

6 ـ المرجع نفسه، ص 308.

12/ الفروسية: إشتهرت بوادي المغرب الأوسط بالفروسية فقد عرفت القبائل بفرسانها فقد اهتموا بتعليم أبناءهم منذ نشأتهم الفروسية.[1]

13/ الفكاهة: عمت الظرافة وروح النكتة أرجاء المغرب الأوسط فكان السكان يحبون روح المرح.[2]

14/ الملاهي: لجأ سكان المغرب الأوسط إلى وسائل ترفيهية مختلفة تساعدهم عن الترويح عن أنفسهم وقضاء فراغهم، فقد كانت تقاو الولائم والصيد ومغازلة النساء والشعر والموسيقى، كما انتشرت لعب عديدة كالمصارعة والملاكمة والعدو والرمي بالنبال وقذب الحراب ورفع الأثقال والفروسية والشطرنج وغيرها، كما انتشرت الحدائق والمتنزهات وغيرها من وسائل الترفيه والتسلية.[3]

إذن فالبرغم من إختلاف الأجناس وتعددها إلا أن بلاد المغرب الأوسط عرفت تماسكا في مجتمعها ما أدى إلى إزدهار وتطور هذه الأخيرة وأسهم كذلك في إنتشار الإسلام وبلوغه الهدف الأسمى وهو تبليغ الرسالة أكثر في شتى الأنحاء.

المطلب الثالث: التطور العمراني للمغرب الأوسط:

عرفت بلاد المغرب الأوسط حركة علمية و فكرية أدت إلى التقدم والإزدهار وأكسبتها مكانة رفيعة وقد إنعكست هذه الطفرة على العديد من المجالات والجوانب ولعل أبرزها الجانب العمراني أو الحياة الفنية لبلاد المغرب الأوسط،[4] ومن أبرز المنشآت التي تبرز هذا التطور العمراني نذكر:

أولا ـ المدن: لم يكن ظهور المدينة في المغرب الأوسط حدثا عفويا بل هناك عوامل ساهمت في ذلك من بينها السعي لتحقيق الاستقرار، كما أن الاعتماد على الفلاحة خلق فئة ثرية اجتماعيا واقتصاديا ساعد من أجل تحقيق مجتمع منتظم من هنا تطور العمران البدوي إلى العمران الحضري.

وقد انعكست وبرزت ملامح هذا التطور في طريقة بناء المساكن والقصور.. مما يدل على تغير طريقة التفكير والسعي للأفضل، بهدف تحقيق الرفاهية والاستقرار،[5] فظهرت العديد من المدن أبرزها:

1 ـ ابن عذاري، مصدر سابق، ص 200 .

2 ـ يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 332.

3 ـ المرجع نفسه، ص 333 .

4 ـ المرجع نفسه، ص 341 ـ 344 .

5 ـ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 493.

– **مدينة تيهرت:** بوصول عبد الرحمان بن رستم سنة 161هـ/777م، وبعد بيعته بالإمامة سعى لبناء مدينة تيهرت فعرفت نشاطا معماريا قويا، اذ يشير المؤرخون أن الهدوء والأمن الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط بعد قيام الدولة العباسية أسهم في ذلك، وبإعتبار أن منطقة تيهرت منطقة زراعية بإمتياز وتسمح بإيجاد حياة مستقرة.

فظهرت فئة من الأثرياء عاشت حياة البذخ والترف،[1] وإختار عبد الرحمان بن رستم موقع بناء المدينة فقد توسط القبائل بين التل والصحراء فكانت حلقة وصل بين تجارة ما وراء البحر وما وراء الصحراء وهي على الطريق بين الشرق والغرب فشرع سكان هذه المدينة في العمارة والبناء وغرس البساتين وإجراء الأنهار وقد وصلت هذه المدينة لأوج تطورها وإزدهارها في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب كما وفدها من السكان جميع الأصناف والأطياف بتعدد أجناسهم وأعراقهم وحتى مذاهبهم ودياناتهم وقد إحتوت هذه المدينة على جميع المرافق التي تساعد على الاستقرار من منازل وقصور ومساجد وحدائق وغيرها من المنشآت العمرانية.[2]

– **مدينة العباسية** : يشير المؤرخون إلى أن مدينة العباسية بنيت سنة 239 هـ/853م بالقرب من مدينة تاهرت بناها محمد بن الأغلب وقد فاخر بها الإمام أفلح فقد سعى لمنافسة مدينة تيهرت التي عرفت مكانة تجارية وإقتصادية نظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي غير أن مدينة العباسية لم تصمد وسرعان ما زالت.[3]

– **سوق حمزة [4] (البويرة حاليا):** قامت هذه المدينة في سهل فسيح يسمى سهل حمزة فيشير الباحثون أنه قد بناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين.[5] وقد ذكرها ابن حوقل بقوله: " أنها على طريق سطيف أشير "، وسماها حائط حمزة وموقعها في أرض صنهاجة رمز الاستقرار وقد كانت عبارة عن مدينة تجارية تجمع بين القبائل وواقعة على طريق دولي بين المشرق والمغرب .

– **مدينة وهران:** 290 هـ/ 902 م: بناها محمد بن أبي عون و جماعة من الأندلسيين و قد كانت هذه المنطقة ذات أرض خصبة ونظرا لوفرة إنتاجها حصل فائض في الإنتاج ما أدى بها لأن تدخل الميدان التجاري فنتج ثراء

1 ـ رشيد بوروبة وأخرون ، المرجع السابق، ص 123 ـ 124.

2 ـ يوسف جودت عبد الكريم ، المرجع السابق، ص 344 ـ 352.

3 ـ المرجع نفسه، ص 353 .

4 ـ سوق حمزة: أرض سلجمة التاريخية بناها حمزة بن الحسن العلوي من سلالة علي بنى أبي طالب في القرن 4 هجري 10 ميلادي، وقد تعاقب على المدينة الكثير من الحضارات. أنظر: ابن حوقل، مصدر سابق، ص 85.

5 ـ حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين: مؤسس مدينة حمزة حكم الكثير من بربر صنهاجة وهو من سلالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أنظر البكري، مسالك وممالك، دار صادر، بيروت، 1977، ص 59.

بعض الأفراد أرادوا العيش في إستقرار وأمن وتمدن وبعدها نزل التجار الأندلسيين فيها فجعلوها قاعدة تجارية وأسسوا معالم مدينة جديدة غير أن الثورات الداخلية أعاقت تقدمها ورقيها أكثر وبالرغم من ذلك إلا أن لها مكانة في تاريخ المغرب الأوسط.[1]

– **مدينة المسيلة 315 هـ/917م**: أسسها أبو القاسم الفاطمي وقد أعدته في ذلك الظروف الاقتصادية على جعلها مدينة مزدهرة وساعده في ذلك إقبال الأندلسيين عليها كما أنها أرض خصبة وفيها كروم كثيرة زجنات واسعة وتعددت غلاتهم من قطن وشعير وحنطة فكثرت المواشي فاعتبرها الفاطميون موردا هاما للمؤونة.[2]

– **أشير 324هـ / 935م**: [3] أسسها زيري بن مناد الصنهاجي ولم تكن غايتها عسكرية بل نتيجة لثراء الصنهاجيين فهي مكان زاخر بالرزق والخير وافرة بالمزارع والبساتين ومكان هادئ متوفر على الأمن والاستقرار.

– **مليانة [4] 337هـ/949م**: تقع في سفح جبل زكار، كانت مركزا تجاريا في بدايتها، توجد بها أثار رومانية، وهي طريق رابط بين متيجة والخضراء، عرفت إستقرار وهدوء ساهم في وصول الزيريين إليها كما أنها تحتوي على مزارع شاسعة لأرضها الخصبة م توفر المياه لوقوعها على نهر ولها أبار عذبة.[5]

– **المدية 337هـ/ 949م**: بناها بلكين بن زيري تعتبر بطن من بطون صنهاجة والمراد من إختطاطها جعلها قاعدة عسكرية حيث أنها لم تلعب دور في مجال التجارة ولم تكن حتى كمحطة تجارية كما لم تشهد حركة زراعية ما يوحي بمكانتها وأن الغاية من إختطاطها هو عسكري دفاعي.[6]

– **مدينة الجزائر**: [7] بناها بلكين حوالي 336هـ، كانت تحتوي أسواق كثيرة وفيها خيرات كالمواشي والعسل والتين، تجمع بين البر وتطل على البحر وقد تأثرت بحركة زيري الاقتصادية وتشجيعه للزراعة وهي مدينة عامرة.[8]

---

1 ـ يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 364 ـ 365.

2 ـ المرجع نفسه، ص 367 ـ 368 .

3 ـ أشير: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف افريقية الغربي مقابل بجاية عمرها زيري بن مناد الصنهاجي. الحموي، مصدر سابق، ص 203.

4 ـ مليانة: مدينة أخر افريقية بينها وبين تنس أربعة أيام، مدينة رومانية قديمة فيها أبار ة أنهار تطحن عليها الرحى جددها زيري بن مناد وأسكنها ابنه بلكين. أنظر: أبن حوقل، مصدر سابق، ص 89.

5 ـ يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 374.

6 ـ نفسه، ص 375 .

7 ـ جزائر بني مزغنة : مدينة على ضفة النهر بين افريقية والمغرب وبجاية. أنظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص 132.

8 ـ يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 373.

– قلعة بني حماد 398هـ/ 1004م: بناها حماد بن بلكين في سفح الجبل المشرف على سهول مسيلة (جبال عجيسة أو المضاعيد حاليا) وقد عرفه الرومان قبل ذلك وقد بناها للضرورة العسكرية ثم أحدث تطورا بها إقتصاديا وإجتماعيا فأصبحت كثيرة الزرع مليئة بالخيرات غير أنها لم تحظى بمكانة إقتصادية رفيعة إلا أنها تعتبر من المدن التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط وكانت مليئة بالقصور والمبتني والمساجد. [1]

– تلمسان: بناها يوسف بن تاشفين سنة 473هـ/ 1081م، عرفت نشاطا علميا وافر كما احتوت هذه المدينة على جامع كبير، تعد من بين حواضر الغرب الإسلامي وقاعدة المغرب الأوسط،[2] عرفت حركة تجارية إقتصادية لتوافد الأندلسيين عليها وتحتل موقعا جغرافيا هاما يربط بين الشرق والغرب والأندلس والشمال والجنوب.[3]

– بجاية:[4] تعد مدينة رائدة وبامتياز وهذا نظرا لموقعها الإستراتيجي، حيث كانت تتوسط عدة مدن مهمة كبونة، قسنطينة، جزائر بني مزغنة، قلعة بني حماد كما انها محطة تجارية ومعبر للحجاج والعلماء للتوجه نحو الشرق أو الأندلس،مناخها طيب وأرضها خصبة كما أنها مطلة على البحر.[5]

مدينة ندرومة: مدينة قديمة تعود جذورها للعصر الروماني لكنها تقترن بشخصية عبد المؤمن بن علي المؤسس الحقيقي لهذه المدينة،[6] وهي عامرة وأهلة بالبشرية والعمران، لها مكانة إقتصادية وهذا لتوفر المحاصيل والفواكه، أرضها خصبة بها عدة قصور كما بني فيها المسجد الجامع، عرفت استقرار وهدوءا ساهم في إعمارها.[7]

ثانيا : القصور: عرفت بلاد المغرب الأوسط رقيا وإزدهارا عالي المستوى وهذا نتيجة الثراء الذي عرفه السكان من خلال ممارستهم للتجارة والزراعة وتربية المواشي حيث تفنن السكان في بناء وتشييد المنازل ومن أمثلة ذلك نذكر[8]:

1 ـ يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 378.

2 ـ إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 139.

3 ـ يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزناتية، مجلة الأصالة، السنة 04، ع26، الجزائر، 1975، ص 06 ـ 07 .

4 ـ بجاية: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب وكان أول من يختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري في حدود 457 هـ بينها وبين جزيرة بني مزغنة. أنظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص 81.

5 ـ السعيد عقبة، الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن 07 هجري من خلال كتاب الدراية، رسالة ماجيستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، ص 32.

6 ـ صالح قرية، عبد المؤمن بنى علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص 12.

7 ـ عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 836.

8 ـ يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 385.

القصور التي بناها الإمام أفلح في تيهرت عرفت تنافسا منقطع النظير في مجال العمران وهذا راجع للإستقرار والأمن الذي شهدته المدينة كما انتشرت حركة واسعة في هذا المجال فقد بنى زيري مناد قصرا في أشير من الحجر وكذلك قصور يوسف بن تاشفين في تلمسان فقد إستعان بالأندلسيين من اجل تزيين قصره وكذلك قصور مدينة تدرومة وهي كذلك على الطابع الأندلسي.

ومن بين القصور التي ذاع صيتها والمكتشفة في قلعة بني حماد وأبرزها قصر المنار وقصر البحر وقصر السلام.[1] ويتألف قصر المنار من عدة أبنية ببعضها جانب بعض في البناء الأوسط باب بارز مزين بمشاك نضف دائرية القعر و واجهة مزينة بست مشاك مسطحة القعر على كل جانب من الباب ثلاثة مشاك، أما قصر البحر الذي لك يكتشف منه إلا القسم الشرقي فالكبير يتكون من واجهة مزينة بمشاك مسطحة القعر على يسار الباب ونصف دائرية القعر على يمينه وباب بارو وصفين من القاعات المستطيلة متجهة من الشمال ورواق مفروش بالأجر الأحمر يحيط بالحوض الكبير الذي تلعب فيه الزوارق.[2] أما قصر السلام فيتكون من صحن مربع الشكل طوله 15م يحيط به أربعة غرف وحجر صغيرة مختلفة.

ثالثا: الحصون والأسوار والقلاع:

أ ـ الحصون: دعت الضرورة الدفاعية إلى ظهور عدد من الحصون كانت منتشرة في أرجاء المغرب الأوسط، وإذا لم تكن القبائل الطاعنة بحاجة لمثل هذه الحصون، إلا أن المستقرين كان لزاما عليهم أن يقيموا لأنفسهم حصونا يلجئون إليها في حالة تعرضهم لهجوم خارجي إذ وقفوا موقفا دفاعيا، فقد انتشرت الفتن والغزو، وتعددت الحصون وتنوعت[3] ومن أبرزها: حصن تماليت في طرف لواتة، وحصن لنفوسة وحصن برقجانة المعروف بتيهرت القديمة، حصن تاجرارت (تلمسان القديمة).

ب ـ الأسوار: يعتبر السور من المعايير الحضارية التي ميزت المدن منذ القدم وهو أحد وسائل المحافظة على النفس والمال والعرض والمال والتي هي من مقاصد الإسلام ونذكر منها سور مدينة تيهرت وسور مدينة تلمسان، سور مدينة أشير ، سور مدينة ندرومة.[4]

1 ـ محمد الطمار، مرجع سابق، ص 226 ـ 233.

2 ـ رشيد بورويبة وآخرون، مرجع سابق، ص 274.

3 ـ المرجع نفسه، ص 126.

4 ـ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 772.

ج ـ القلاع: تعتبر القلاع من الوسائل الدفاعية الحربية وقد انتهجتها بلاد المغرب الأوسط بغرض الحماية وصد الحملات سواء الداخلية أو الخارجية،[1] وقد انتشرت هذه القلاع فعمت أرجاء البلاد،[2] ومن بينها نذكر:

قلعة ابن الهرب وقلعة مغيلة دلول في أعلى الجبل وأشد حصانة و قلعة هوارة والقلعة المشهورة ببني حماد قلعة تاسغيموت وقلعة بني تاودا.[3]

رابعا: المساجد: يعتبر المسجد مكانا لعبادة المسلمين فهو المكان الذي تقام فيه الصلاة لذا حظي بمكانة رفيعة لدى المسلمين، فقد عرفت بلاد المغرب الإسلامي أنماطا مختلفة في بناء المساجد رغم تعاقب الدول والحضارات على المنطقة و قدكان لبلاد المغرب الأوسط دور فعال في هذا المجال ومن أهم المساجد التي عرفتها المنطقة نذكر:

المسجد الجامع الذي بناه أبي اليقضان في تيهرت وكذلك مساجد بني حماد التي بنوها في بجاية وقلعة بني حماد وقسنطينة، فالمسجد الجامع الذي وجد في قلعة بني حماد وخلال حملات الحفريات تمكن الباحثون من الكشف عليه فمئذنته كانت بادية للعيان وهو بناية ذات شكل مستطيل طولها 64،2 متر وعرضها 53،2 متر تشمل على بيت الولاة وفناءا لهم أما مئذنته فبلغ علوها 24،7متر وطول ضلع قاعدتها 6،50متر ويختص الوجه الجنوبي منها بنقوش عليه ذات ألواح عمودية.[4]

إن اللوحة المركزية تشمل فوق مدخل البناية عن لوحة من حجر منحوت وعلى حتية ذات خمسة فصوص منضدة، أما اللوحتان الجانبيتان فكل واحدة منها مجهزة بمشكاة ذات قعر نصف أسطواني فوقها مشاكتان ذو قعر مسطح، أما مسجد المنار الذي برز سنة 1968م وطوله 160م وعرضه 120م، يزينه محراب ذو حصيصة تتمثل في قواسه المتحفى والذي يذكر بقوس فيه قبة الصخرة، أما الجامع الكبير القسنطيني بني في عهد يحي بن عبد العزيز 530هـ، كما تدل على ذلك الكتابة التي تزين المحراب ويعد هذا المسجد من المباني العتيقة حيث يمتاز بكتابات كوفية وقسمه العلوي ونوافذه المحزمة والأبواب المصنوعة من الخشب المنقوش والمزخرف بعناصر هندسية.

1 ـ رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص 269.

2 ـ يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 382.

3 ـ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 677.

4 ـ رشيد بورويبة وأخرون، المرجع السابق، ص 272 .

كما نذكر مسجد سيدي أبي مروان بناه الأمير الزيري المعزي في عنابة بقي هذا المسجد محتفظا بجماله حتى قبل غزو فرنسا للجزائر وتم تحويله لمستشفى.[1]

أما في عهد المرابطين فقد شيدوا ثلاثة مساجد وهي الجامع الكبير بتلمسان في عهد الأمير علي بن يوسف سنة 530هـ/1136م كما تدل عليه الكتابة التي تجري على قاعد القبة الموجودة أمام المحراب و يمتاز هذا المسجد بدعائمه وأعمدته وأقواسه ومحرابه وقتبه، فالدعائم متوجة بتيجان من النوع المركب والأقواس متنوعة إلى حد بعيد من حيث أننا نجد بجانب الأقواس المدية أقواسا خماسية الفصوص وذات سبعة وذات تسعة فصوص، ولمحراب الجامع الكبير بتلمسان مشكاة سداسية الشكل الأولى من نوعها في المغرب العربي مكللة بقبة محددة محاطة بطنف ترى تحته خمسة ألواح مزينة بثلاث نوافذ، أما الجامع الكبير الندرومي فيمتاز ببساطته وبمنبره المعروف بمتحف الأثار بالجزائر تميزه كتابة كوفية تعد من أجمل الكتابات التي يرجع تاريخها للعصور الوسطى.[2]

أما الموحدون فقاموا بإصلاح الجامع الكبير التلمساني وبتأسيس قبة سيدي أبي مدين وهذا دون المساس بشكل الجامع فأعمالهم تركزت على واجهة المحراب والأبواب الثلاثة الجانبية بالإضافة إلى جدار الصحن الجنوبي.[3]

إذن ومن خلال كل ما تناولناه في الجانب العمراني للمغرب الأوسط نستنتج أنه عرف تطورا وتقدما كبيرا في هذا المجال، حيث برزت العديد من المدن كتيهرت وتلمسان وندرومة وبجاية، وشيدت القصور وبنيت الحصون والأسوار والقلاع ما أظهر المكانة المدنية التي وصلت إليها البلاد.

1 ـ رشيد بورويبة وأخرون، المرجع السابق، ص 272 .

2 ـ مرجع نفسه، ص 349 ـ 350.

3 ـ عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 752.

المبحث الثاني: لمحة عامة عن بلاد السودان الغربي اجتماعيا وعمرانيا.

المطلب الأول: جغرافية وسياسة السودان الغربي.

المطلب الثاني: التطور الاجتماعي للسودان الغربي.

المطلب الثالث: التطور العمراني للسودان الغربي.

المبحث الثاني: لمحة عامة عن بلاد السودان الغربي اجتماعيا وعمرانيا:

المطلب الأول: جغرافية وسياسة بلاد السودان الغربي:

أولا: جغرافية بلاد السودان الغربي:

السودان الغربي مصطلح أطلقه العرب على المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى، والممتدة بين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة تشاد شرقا، والتي ضمت عددا وحدات سياسية مثل، غانة، مالي.

وقد أشار ابن حوقل في كتابه صورة الأرض إلى حدود السودان الغربي بقوله وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فان بلادهم في أقصى المغرب على المحيط، غير أن له حدا ينتهي إلى برية بينه وبين ارض مصر على ظهر ألوحات.[1] كما تم تعريفها على أنها تلك المنطقة الموازية لبلاد المغرب وتفصل بينهما الصحراء الكبرى.

لماذا سمي السودان بهذا الاسم؟. نجد العرب أول من أطلق لفظ السودان على الشعوب والقبائل التي تسكن المنطقة، وأصل التسمية مستوحى من لون البشرة التي يتميز بها السكان. فالقزويني (ت 682/1283م) وصف بلاد السودان الغربي بقوله بلاد كبيرة وارض واسعة ينتهي شمالها إلى ارض البربر، وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة و غربها إلى البحر المحيط.[2] أما البكري فقد أطلق في القرن الخامس الهجري كلمة السودان على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة على النيل شرقا، واعتبر مدينة سجلماسة.[3] مدخلا إلى بلاد السودان.[4]

بيد أن جغرافي المشرق الإسلامي قبل القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلاد وبعده يستعملون نفس المصطلح اسم السودان للدلالة على المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى النيل المصري، والبحر الأحمر، والعامل المشترك في تمييز الفضاء الجغرافي سواء عند المشارقة أو المغاربة عامل لون البشرة.[5]

---

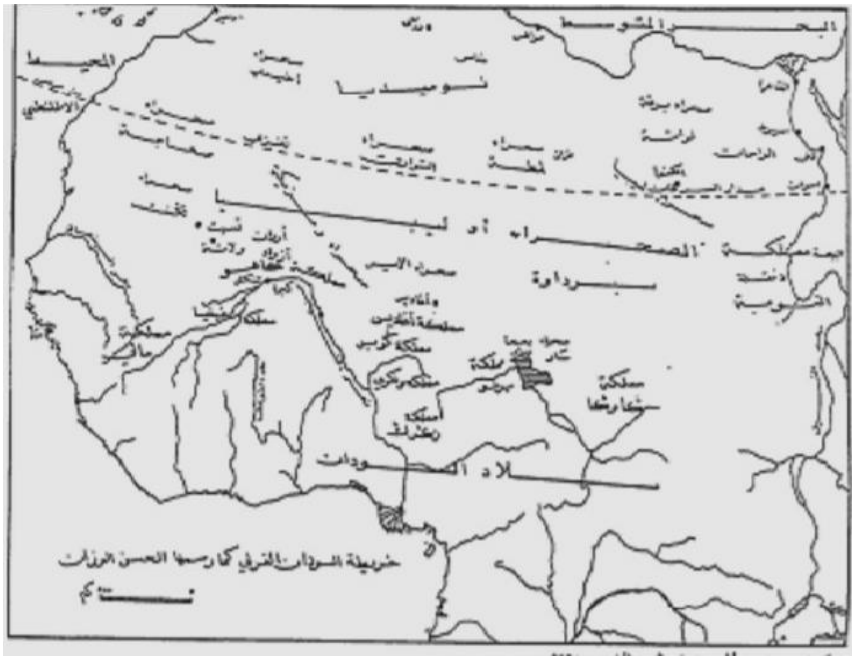
1 ـ ابن حوقل (أبو القاسم)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان 1979، ص 24.

2 ـ القزويني محمد بن زكريا، أثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ص 24.

3 ـ سجلماسة: مدينة بنيت سنة 140هـ/757م كانت عاصمة دولة بني مدرار.

4 ـ أبو عبد الله البكري، المسالك والممالك، الدار الرابعة للكتاب، تونس، 1992، ص 274 .

5 ـ احمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني، إمبراطورية مالي 1230-1430، ط1، إصدارات المجتمع الثقافي، ابوظبي، 1998، ص 58.



خريطة تمثل بلاد السودان الغربي. [1]

أما بالنسبة للمصادر الأجنبية فلم تشر لبلاد السودان الغربي، إلا ما ورد أن الفينيقيين واليونان ثم الرومان اعتبروا المنطقة الواقعة خلف الصحراء الكبرى أرضا مجهولة، فلم يترك مؤرخوهم معلومات كثيرة بالرغم من أن بعض الكتابات اليونانية والرومانية تحدثت عن الزنوج القادمين من وراء الصحراء الكبرى منذ القرن الثاني للميلاد، وهذه كتابات سطحية إذ ذكرت طبائع أولئك الزنوج الذين اعتبروهم عبيدا نقلوا من مواطنهم الأصلية لاروبا.

ثانيا: الطبيعة الجغرافية للسودان الغربي: على اعتبار أن الشعوب قديما وحتى الحضارات العريقة قامت على ضفاف الأنهار فان أهم ما يميز السودان الغربي هو وجود نهرين هما نهر النيجر ونهر السنغال، وهما يشكلان أهم نهرين تسري بهما الحياة في تلك المنطقة.[2] فنهر النيجر يعد أهم مظهر طبيعي يميز المنطقة ويعتبر عدة دول هي حاليا (جمهوريات كل من غينيا، مالي، النيجر، نيجيريا) وهو نهر صالح للملاحة جعل منها محور التجارة النهرية.

أما بالنسبة لنهر السنغال فهو النهر الذي ذكر كثيرا في كتابات الرحالة و الجغرافيين العرب والذين أطلقوا عليه تسمية النيل السوداني، أما تسميه بنهر السنغال فقد أطلقها الأوربيون لان البرتغاليين هم من اكتشف النهر لأول مرة عام 1450م.[3]

1 – الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، نهاية القرن 15 إلى 18 م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 261 .

2 ـ نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر، د.ت، ص 05 .

3 ـ المرجع نفسه، ص 07.

المناخ: مناخ السودان الغربي مناخ صحراوي حار وجاف، تتراوح درجة الحرارة بيه بين 15 و30 ترتفع درجة الحرارة كلما اتجهنا من الجنوب للشمال، حيث درجة الحرارة تصل ذروتها، والتي يقول عنها الزهري تهب الرياح في الصحراء فتتجفف الماء في الزقاق وتهلك جميع الحيوانات، فمن كان بنيانه من الجناوة بقرب البحر نجي من ذلك، ومن كان في شرقها على ضفة النيل نجي كذلك ومن كان ساكن في وسطها هلك.[1]

السكان: إن موقع السودان الغربي يتميز بايجابيات كثيرة جعلته محطة للكثير من الهجرات من مختلف المناطق، وهذه المميزات تمثلت في موقعه في منطقة تجري بها بعض الأنهار، مثل نهر السنغال ونهر غامبيا ونهر فولتا.[2]

ومعظم سكان السودان الغربي من الزنوج الذين يعيشون في منطقة غابية في جماعات مسالمة يرأسها الكبير ومن بين هذه الشعوب نذكر:

1 ـ شعب سنغاي: سكن جنوب تمبكتو وعلى ضفتي نهر النيجر وشمال نيجيريا حيث أسس دولة عرفت أطوارا من القوة والضعف .

2 ـ شعب التكرور:[3] يتواجدون في الجزء الأوسط من السنغال على جانبي نهر السنغال خاصة على الجانب الأيسر وهم يمتهنون الزراعة، ولقد وقع اختلاط بينهم وبين قبائل البربر القادمة من المغرب الإسلامي. وأول نص ذكر فيه اسم التكرور يرجع إلى كبرى (487هـ/1095م) والذي أشار إليه واعتبره مدينة من مدن بلاد السودان الغربي تقع قرب نهر السنغال، وكان أهلها على الشرك يعبدون الأصنام وملكهم يسمى وارجابي بن راسبن (432هـ/1040م) والذي اسلم وحمل أهل تكرور على الإسلام والشرائع الدين الإسلامي.[4]

3 ـ شعب المانديجو (المانديي)[5]: انتشروا في جميع أقاليم السودان الغربي الواقعة جنوب دولة السنغال حاليا، وهم يمتهنون الزراعة وقد تفرعوا إلى عدة بطون أهمها: البيمارة والديولا.

4 ـ شعب الهوسا: يعيشون في الأقاليم الوسطى بجنوب الصحراء شرقي نهر النيجر، يتميزون بالصناعات اليدوية.

---

1 ـ الزهري، كتاب الجغرافيا، تح: محمد الحاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت، ص 126.

2 ـ فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية إفريقيا "دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء "، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 1983، ص 223 .

3 ـ التكرور: أصل اطلاقها كان من منطقة السنغال الشرقية من أيام المرابطين، ثم عم اطلاقها خارج بلاد السودان الغربي كله.

4 ـ البكري، مصدر سابق، ص 268 .

5 ـ المانديي: هذه التسمية أطلقها عليهم البرتغاليون ويسمنوهم أيضا المانديجا.

ثالثا: سياسة السودان الغربي:

الواقع إن مصطلح السودان الغربي لم يرد أبدا في كتابات العرب القدامى كابن خلدون و ابن بطوطة , وقد ظهرت بالسودان الغربي عدة ممالك .

أ ـ الأوضاع السياسية لممالك السودان الغربي:

أولا:مملكة غانا: كانت أهم الممالك بإفريقيا تم تحديد موقعها بين نهر السنغال والنيجر وتمتد فترة حكمها من منتصف القرن الثاني للبلاد(2م) إلى غاية القرن الحادي عشر (11م), تعددت الروايات حول أصل سكان إمبراطورية غانة.[1] ويرتبط تأسيس مملكة غانة بالذهب أكثر من غيرها من الممالك في غرب إفريقيا، ومن ثم صار حكامها يعرفون بملوك الذهب.[2]

يعرف عن مملكة غانة أنها من أكثر القبائل قوة وتوسعا وذلك نظرا لتنظيمها التجارة وخاصة تجارة الذهب والملح وفرض الضرائب على القوافل التجارية حسب السلع، مما وفرلها دخل مالي هام، فقد ذكر البكري أن لملكهم على حمار الملح دينار ذهب في إدخاله البلد ودينار إن في إخراجه وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل.[3] وقد ذكرت مدينة غانة عند كثير من المؤرخين والرحالة من بينهم ابن حوقل فقال عنها أيسر ما على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من أموال.[4]

انتشر الإسلام في غانة نظرا للدور الذي لعبه التجار والمهاجرين العرب. وكانت مملكة غانا تمثل أروع الأمثلة في التسامح بين الديانات والأجناس فقد كان بها مدينتان الأولى يسكنها المسلمين بها اثنا عشر مسجدا. وأما الثانية فيسكنها الكفار وبها الكهنة وأصنامهم وسحرتهم ,يذكر الإدريسي من عدل ملك غانا انه كان يمشي في ازقة العاصمة ويتبعه قادة جيشه يتفقد أحوال الناس، فمن كانت له مظلمة أو شكوى يقف بين يديه و يسمعه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع إلى قصره، ويتفرق قادته ثم يعود بعد الظهر عند ما تخف درجة الحرارة ليقوم بنفس الجولة مع قادته ليسمع بنفسه لشكاوى الناس، حيث كان يقوم بهاتين الجولتين كل يوم لتحقيق العدل.[5]

---

1 ـ نور الدين شعباني، مرجع سابق، ص 233.

2 ـ الزهري، مصدر سابق، ص 125.

3 ـ البكري، مصدر سابق، ص 176.

4 ـ ابن حوقل، مصدر سابق، ص 98.

5 ـ الادريسي، نزهة المشتاق في احتراف الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 23 ـ 24.

ثانيا: مملكة مالي: يختلف المؤرخون في أصل تسمية المملكة بهذا الاسم, فقد وردت في كتاب تحفة النظار لابن بطوطة باسم مالي، أما محمود كعت والبكري فيطلقان عليهما مل أو ملي،[1] سيطرت مملكة مالي على أراضي واسعة وصلت إلى بلاد الطوارق وإلى غاية خليج غامبيا جنوبا،[2] بلغت مملكة مالي قمة توسعها في القرن 14 فبلغت شمالا حدود الصحراء وغربا حتى المحيط.

اشتهرت مالي عند بعض العرب بلاد التكرور خاصة في مصر وإن كان هذا الاسم يطلق في حقيقته على إقليم معين من أقاليم مملكة مالي ويتضح ذلك من خلال تسميتهم لملوك مالي بملوك التكرور.[3]

مالي في عهد سندياتا كينا[4]: دام حكم سندياتا أكثر من عشرين سنة، وقد شهدت فترة حكمه تطورا في كل النشاطات في مملكة مالي الإسلامية,حقق خلال هذه الفترة عدة اختصارات أصبحت مالي على أثرها من أعظم ممالك السودان الغربي من حيث المساحة وغناها بالثروة التي تأتيها من حقول الذهب و عائدات الزراعة، وبعد مضى عشرين سنة على توطيد دعائم حكمه وافته المنية عام 653هـ/1255م.[5] تولى الحكم في مملكة مالي بعده ابنه (منسا علي) بمعنى السلطان علي الذي قام بتوسيع مملكة والده، وشهدت البلاد في عهده رخاء وتطورا واستمر حكمه خمس وعشرين سنة حكم بعده ملوك ضعاف إلى إن وصل الحكم إلى منسا موسى (707هـ-737هـ/1312-1337م) الذي اكتسب شهرة عظيمة [6] رغم التحديات الكبيرة عند توليه الأمور في مالي. ويذكر السعدي انه "صالح عادل لم يكن فيهم مثله في الصلاح والعدل". [7]

كما استقرت الأوضاع واستمر الأمن وانتظمت المؤسسات الإدارية، ولقيت التجارة رواجا كبيرا وزادت مداخيل الدولة مما أعطاها الفرصة لتكوين جيش قوى، اعتبر أقوى جيش في إفريقيا الغربية كلها.[8] ومع مطلع

1 ـ السعدي، تاريخ السودان، مدرسة اللغة العربية، باريس ، 1981 ، ص 09.

2 ـ مبروك الهادي الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، دار الملتقى للطبع والنشر، لبنان، 2001، ص 68.

3 ـ يحي جلال، تاريخ إفريقيا الحديث، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 32.

4 ـ سندياتا: تعني الملك: الأسد، أما كينا: فهو إسم عشيرته.

5 ـ مبروك الهادي الدالي، مملكة مالي الإسلامية، مرجع سابق، ص 28.

6 ـ ابن خلدون، مصدر سابق، ج 06، ص 183.

7 ـ السعدي، مصدر سابق، ص 07.

8 ـ أحمد شكري، الإسلام والمجتمع السوداني "إمبراطورية مالي 1230/1430"، المجتمع الضافي، أبوظبي، 1999، ص 187.

القرن التاسع الهجري (9هـ/15م) أصبحت الإمبراطورية تعاني من أزمة سياسية خانقة، وكبتها تهديدات الشعوب الخاضعة لسلطتها واستقلال منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر عن مالي تداعت أركان المملكة وسلطتها.[1]

ثالثا: مملكة سنغاي: تمتد مملكة سنغاي على ضفتي نهر النيجر إلى شمال من الداهومي عند مدينة داندي الى جنوب فولنا العليا وشمال نيجيريا.[2] وتعتبر أخر ممالك السودان الغربي التي ازدهرت في المناطق الواقعة ما بين حوضي نهر السنغال ونهر النيجر.

وقد كانت سنغاي قبل انتشار الإسلام بها تدين بالديانة الوثنية منذ القرن 7م، يعتبر (سنى علي 1492/1464) المؤسس الحقيقي لمملكة سنغاي، وقد أطلق على نفسه لقب السنى ففي عهده بدأت المملكة تدخل في التوسع على حساب القبائل المجاورة.[3]

أما فيما يخص سياسة الحكم فقد أسس عددا من الأقاليم,اسند حكمها لزعماء يتبعونه بصورة مباشرة,و بذلك أصبحت سنغاي دولة ذات تسيير مركزي، توفي (سنى علي) سنة 1492.

شهدت مملكة سنغاي فترات قوة وضعف حتى أصبحت عرضة للأطماع الخارجية وخاصة بعد خسارتهم المعركة الحربية ضد المغاربة في 22 نوفمبر 1599.[4] وما كادت تصل سنة 1637 حتى انتهت سنغاي. ونشير هنا للحواضر التي ازدهرت في سنغاي مثل جاو، جنى وتمبكتو (تمبكت) التي قال عنها السعدي مدعوة بتنبكت ومعناها في لغاتهم الهجرة وهي بها سميت الوضع المبارك، يأتيه الناس من كل مكان حتى صار سوقا للتجارة. [5]

اذن فرغم الطابع الصحراوي لبلاد السودان الغربي إلا أنها شهدت أعظم الممالك، وجذبت إليها العلماء وكانت مدنها مركز إشعاع ديني و ثقافي و مازالت محل اهتمام الباحثين إلى يومنا هذا.

1 ـ احمد شكري، مرجع سابق، ص 194 .

2 ـ عطية مخزوم الفيتوي، دراسات في التاريخ " شرق إفريقيا وجنوب الصحراء "، ددن، ط 01، بنغازي، ص 311 .

3 ـ محمد إبراهيم الفتاح، إفريقيا من السودان إلى نهر جوبا، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، 1961، ص 112.

4 ـ عطية مخزوم الفيتوي، مرجع سابق، ص 313.

5 ـ السعدي، مصدر سابق، ص 11.



خريطة تركز شعوب وقبائل بلاد السودان الغربي. [1]

المطلب الثاني: التطور الاجتماعي للسودان الغربي:

أولا: التركيبة السكانية: تعددت واختلفت قبائل بلاد السودان الغربي في الأصول والأجناس إذ ترجع لأصول زنجية وحامية وسامية وصلت المنطقة عبر اهجرات واندمجت بالمصاهرة ومن القبائل:

1 ـ القبائل العربية: هاجرت القبائل العربية في فترات مختلفة إلى بلاد السودان الغربي عابرة الصحراء قادمة من الشمال الإفريقي إما لغرض التجارة أو نشر الإسلام، وتشير الدراسات إلى وجود عدة عائلات هاجرت إلى مدن السودان الغربي كتمبكتو وغاو واستقرت بها إما لدافع التجارة أو نشر العلم ومثال ذلك عائلة الفيلالي والتي انتشرت في اروان وتمبكتو وجنى وغاو وعائلة محمد الفاسي التي اشتغل أبناؤها بالتعليم،[2] وقد كان لذلك اثر ايجابي خاصة في ميدان التعريب.

فقديما كانت تسود إفريقيا جنوب الصحراء لغات بربرية وزنجية لكن بعد دخول الإسلام مع الهجرات العربية تراجعت تلك اللهجات واحتضن أهلها الإسلام واللغة العربية التي انتشرت في حواضر السودان الغربي بحيث أصبح لزاما على الزنجي الذي اعتنق الإسلام أن يتقن اللغة العربية واعتبارها مفتاح الولوج إلى عوالم الثقافة العربية الإسلامية.

1 عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 25.

2 ـ الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية، مرجع سابق، ص 194 ـ 196.

2 ـ الطوارق: أصولهم اختلف فيها ما بين أصول قبائل حمير اليمنية،[1] او تعود لأصول طارق بن زياد.[2] منتشرون بالصحراء الكبرى من توات وفزان شمالا إلى تمبكت جنوبا.[3] وقبائل الطوارق كثيرة أشهرها لمتونة وجدالة ومسوفة من لهم دور أساسي في نشر الإسلام، كما شهدوا صراعات مع بعض حكام السودان الغربي وحاولوا الانفصال عن مملكة مالي الإسلامية.[4]

3 ـ قبائل السوننك: هذه الكلمة استخدمها الوثنيون، وهي مرادفة لكلمة داعي، مما يدل على الدور الكبير الذي لعبوه في نشر الإسلام وأهم احد فروع الماند.[5] أو الماندينغو هذا إضافة إلى قبائل أخرى مثل الفولاني والتكرور وهي احد أقاليم مملكة مالي كما ذكرنا سابقا. وقد شكلت هذه القبائل وغيرها النسيج الاجتماعي للسودان الغربي على اختلاف لغاته ومعتقداته.

ثانيا: ديانة سكان السودان الغربي: فصلت مصادر التاريخ والروايات الشفوية بين مرحلتين مختلفتين في تاريخ السودان الغربي الأولى الوثنية والثانية بعد انتشار الإسلام.

في المرحلة الأولى: يلخص البكري في كتابه المسالك والممالك عن ديانة السودان الغربي بقوله سائرهم كان على المجوسية وعبادة الدكاكير،[6] وكانت الألهة خاصة بقرية أو مدينة أو مملكة، وكانت معابدهم عبارة عن أبنية بسيطة مربعة ذات أبراج اسطوانية مزينة بالصور،[7] وكان السحرة مكلفون بإقامة طقوس دينهم والإشراف على المعابد.

أما المرحلة الثانية: فهي مرحلة انتشار الإسلام عن طريق القوافل التجارية القادمة أساسا من بلاد المغرب الإسلامي ونظرا للتفاعل بين بلاد المغرب وبين السودانيين السابقين للإسلام فقد سمح ذلك للدعوة الإسلامية بالتوسع

1 ـ اكناته ولد النقرة، الطوارق من الهوية إلى القضية، المركز الجامعي الموريتاني للبحوث والدراسات الإستراتيجية، نواقشوط، 2014 ، ص38.

2 ـ الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص 216.

3 ـ رضوان هواري، التحولات الأقتصادية والاجتماعية في السودان الغربي 7 هـ ـ 12م / 10 هـ ـ 16م، ص 39.

4 ـ عبد الرحمان السعدي، مصدر سابق، ص 17.

5 ـ الماندي: هم مجموعة من الشعوب المتعددة الفروع ذات الأصل الزنجي.

6 ـ البكري، المسالك و الممالك، دار الكتب العلمية، ج 02، 2003، ص 360.

7 ـ عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998، ص 241.

والانتشار، حيث ورد عن البكري عن مدينة غياروا التي تبعد عن مدينة غانا بعشرين يوما إلى الجنوب حيث قال "..وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشرا يوما وفيها من المسلمين كثير.[1]

وقد أجمعت المصادر التاريخية أن الطبقة الحاكمة في السودان الغربي كانت السباقة إلى اعتناق الإسلام وهو ما سهل مهمة التجار والدعاة في نشر الإسلام وتقبل سكان البلاد السودانية لتعاليم الدين الإسلامي، إذ يذكر البكري عن حاكم (ملل) قصة إسلامه فقال فأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته، وأهل مملكته مشركون فسموا ملكهم مذ ذاك بالمسلماني.[2]

ثالثا : العادات والتقاليد: مارس سكان السودان الغربي قبل انتشار الإسلام فيها عادات وتقاليد غريبة مثل:

1 ـ الشعوذة: كانت تمارس في نطاق ضيق جدا لأنها تعتبر مصدر للخزي والعار، ويتم اضطهاد كل من يمارسها، ويعرف المشعوذ في المجتمع الإفريقي باسم المصاص أي انه يمتص القوة الحيوية للضحايا.[3] ظلت هذه العادة موجودة في مجتمع السودان الغربي إلى غاية مجئ الإسلام حيث حارب هذه الظاهرة واعتبرها من البوائق التي تخرج صاحبها من الإيمان إلى الشرك.

2 ـ السحر: شهدت هذه العادة انتشارا واسعا في إفريقيا جنوب الصحراء، ويقصد بالسحر صرف الشيء عن حقيقته إلى شيء أخر مخالف للحقيقة. كان الساحر يفسر الرموز ويفك الألغاز وتعدى ذلك إلى العلاج عن طريق التمائم، كما كان الساحر يحصل على أجوبة من خلال استعمال أدوات خاصة ووسائل يمتلك سرها ويقوم باستقراء المعطيات والإشارات.[4]

3 ـ الختان: تقوم به عادة العجائز ويعتبره أهل السودان الغربي بمثابة الفاصل بين فترة المراهقة وفترة الطفولة يتم الختان في فصل الجفاف خارج القرية، حيث بعد الختان يعطى للأطفال أسماء جديدة ويلبسون لباسا جديدا كعلامة على توديعهم الطفولة والتحول لمرحلة جديدة.

1 ـ البكري، مصدر سابق، ص 364.

2 ـ المرجع نفسه، ص ـ 366 ـ 367.

3 ـ عبد الرحمان الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص 15.

4 ـ المرجع نفسه، ص 17 .

4 ـ إقامة الطقوس والاحتفالات: أشهر الطقوس والاحتفالات هي تلك المرافقة لمراسيم التتويج بالحكم، حيث يجتمع زعماء القبيلة وأعيانها ويقوم الكاهن الكبير بتتويج الحاكم.[1] إضافة إلى الطقوس المرتبطة بالاحتفال بالسنة الخصبة عند هطول المطر وتقديم قرابين للإلهة.

5 ـ الأسرة: أساس الأسرة في السودان الغربي هي المرأة أو الأم، ففي نظام الحكم يتم توريث ابن الأخت أو ابن الابنة لنسبه المؤكد وبالتالي فللأخوال دور كبير على حساب الأقارب من جهة الأب أو الأعمام. بعد انتشار الإسلام ومن خلال النظام الوراثي الإسلامي فقد أصبح للإبن الحق في وراثة ملك والده، وهو ما حدث عند وصول ملوك السنغاي والتكرور.

6 ـ الزواج: في المجتمع السوداني بالنسبة للملوك وشيوخ العشائر يهدف إلى مصاهرة عدد كبير من القبائل من أجل إقامة تحالفات سياسية أو مصالح اجتماعية، كما عرف عن سكان السودان الغربي الزواج بالمبادلة كأن يعطي الرجل أخته لرجل أخر على أن يزوجه من أسرته أو قبيلته. ومع انتشار الإسلام أعطى للزواج قيمة كعقد اجتماعي بين الزوجين هدفه تكوين أسرة,و ليس مصالح أو تحالفات.

أما بالنسبة للطلاق لقد كانت هناك ظاهرة غريبة بالنسبة للمطلقات والأرامل اللاتي كن يشرين زوجا إذا مات أزواجهن، إذ تقوم الزوجة بشراء زوج أخر مما تركه لها زوجها الأول من المال.[2] كما كانت العائلات في مملكة مالي تزوج بناتها من القادمين من التجار والحرفيين العرب على اعتبار أن لهم نفس الدين.

7 ـ المرأة: تميزت المرأة السودانية بحرية تدبير شؤونهن الخاصة، واستطاع البعض منهن التأثير على الحياة السياسية. لقد نظم الإسلام العلاقة بين المرأة والرجل في كل المراحل خاصة في فترة الخطوبة فكان على الفتاة أن تحافظ على شرفها وعفتها من خلال عدم التبرج والحذر من الزنا والمصاحبة.[3] أما في مجال عمل المرأة فقد أصبحت تساهم مع زوجها أو أخيها في العمل في كافة مجالاته على أن يكون هذا العمل يتناسب مع أنوثتها,ففي مجال الطبخ اشتهرت نساء أودغست بأنهن طباخات ماهرات يحسن صنع الحلويات المختلفة.[4] كما كانت المرأة مسؤولة عن تربية الأبناء.[5]

1 ـ محمد سلام زناتي ، نظم وعادات، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، مصر، 1993، ص 10.

2 ـ هوارد، أشهر الرحلات في غرب إفريقيا، تر: عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1996، ص 43.

3 ـ السعدي، مصدر سابق، ص 15.

4 ـ البكري، مصدر سابق، ص 64.

5 ـ مؤنس حسين، ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 230 .

زيادة على المهام التي كانت منوطة بالرجال كجلب الماء من البئر أو حياكة الصوف والقطن. ويتم تزويج الفتاة من الرجل الذي يختاره لها أبيها دون استشارة ودون معرفة ميولها من عدمه للمتقدم لخطبتها الذي لا وزن لإرادته ولا حاجة لاستشارته،[1] ومع انتشار الإسلام زالت بعض التقاليد وأصبح للمرأة رأي قبول أو رفض الزواج.

8 ـ اللباس: عرفت بلاد السودان تقاليد خاصة في لباسهم وذلك حسب طبقات المجتمع، فالملوك مثلا كانوا يلبسون أفخر اللباس المستورد من بلاد المغرب. وقد كان اللونين الأسود والأزرق من أشهر الألوان التي يلبسها الملوك.[2] أما بالنسبة للعامة فلبسوا نعال مصنوعة من جلد الجمال.[3]كما ان السودانيين تميزوا بظاهرة التعري فوصفوا بالحفاة العراة، واقتصر لباسهم أحيانا على ورق الشجر، إلا أن البعض منهم كانوا يلبسون الجلود مما يدل أن سبب ظاهرة التعري هو عدم وجود ألبسة نسيجية أو الظاهرة متعلقة بعامل طبيعي متمثل في شدة الحر.

تظهر تأثيرات الإسلام والمغاربة في تحول شكل اللباس وتقليد الوافدين في زيهم، وقد أشار إلى ذلك العمري ووصف زى أهالي مالي بقوله ولباسهم عمائم بحيك مثل الغرب وقماشهم بياض مثل ثياب قطن يزرع عندهم وينسج في غاية الدقة واللطف يسمى الكميصا، ومنهم شبيه بزي المغاربة جبات ودراريع بلا تفريج ويلبس أبطالهم الفرسان أساور من ذهب.[4] وكان السلطان في مملكة مالي يرتدي شاشية ذهب مشدودة بعصابة ذهب لها أطراف مثل السكاكين رفاق، طولها أزيد من شبر وأكثر لباسه جبة حمراء موبرة،[5] أما الحلي فيتمثل في الخلاخل والأقراط المصنوعة من الذهب والفضة والجواهر، أما الأحذية الأكثر استعمالا النعال المصنوعة من الجلد.[6]

9 ـ الأطعمة والمشروبات: اغلب طعام سكان السودان الغربي القمح والشعير والفواكه المجففة إضافة إلى الحليب والسمن والجبن، ومن اللحوم لحوم البقر والغنم والجمال والدجاج وأصبح الكسكس المصنوع من القمح والذرة الأكلة المعتمدة في الموائد.[7]

---

1 ـ سعد فرح، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، اطروحة دكتوراه، تخصص: تاريخ الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ص 62.

2 ـ محمد الغربي، الحكم المغربي في السودان الغربي ونشأته وأثاره، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، بغداد، 1982، ص 609.

3 ـ حسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد الأخضر، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص173.

4 ـ العمري ابن الفصل، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط 01، المجتمع الثقافي، أبوظبي، 1423 هـ، ص 39 .

5 ـ ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: عبد المنعم العريان، ج02، ط02، دار بيروت للطباعة، لبنان، 1982، ص 711 .

6 ـ سعد فرح، مرجع سابق، ص 85.

7 ـ محمد الغربي، مرجع سابق، ص 712.

ومن المأكولات المميزة في بلاد السودان الغربي كذلك الجراد نظرا لوجوده بكثرة فقد أصبح في فصل الجفاف من الأطباق الأكثر انتشارا، كان يحمص ويؤكل، أو يجفف ويطحن.[1]

أما فيما يخص المشروبات عند سكان السودان الغربي فيذكر الإدريسي أنهم كانوا يشربون المياه النابعة من جبالهم حيث ماؤها زعاق ليس بصادق الحلاوة (مالحة).[2] ومن المشروبات المنتشرة بكثرة الشاي كما كانوا يصنعون أنواعا أخرى من المشروبات الساخنة والباردة.[3] ولكثرة اليهود في السودان الغربي شاع شرب الخمر، وتحدثت المصادر السودانية عن تناول المسلمين للخمر سرا وعلانية.[4]

10 ـ الفنون والموسيقى: تعددت الفنون في السودان الغربي نذكر منها فن النحت على الطين والخشب، أما الطبوع الموسيقية فقد حافظت على الإيقاع السوداني رغم اختلاطها بالموسيقى المغربية، في الوقت الذي كان الغناء في الأرياف غير احترافي فان المدن كانت بها فرق غنائية يتم استدعاؤها للحفلات وتستدعى لقاء اجر معلوم.[5]

11 ـ الحفلات والمناسبات العامة: كان لدى سكان السودان الغربي ميل غريزي إلى البهجة والفرح والسرور فكانوا يقيمون الحفلات في عدة مناسبات، فتقام على المولود الجديد مثلا، كما بقت بعد انتشار الإسلام.

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وبقدوم شهر رمضان والاحتفال بعيدي الفطر والأضحى،[6] حيث يقول ابن بطوطة في ذلك "..حضرت بمالي عيد الأضحى والفطر فخرج الناس إلى المصلى وهو بمقربة من دار السلطان وعليهم الثياب البيض الحسان وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان وكانوا يقومون بالتكبير والتهليل عند خروج السلطان وكانت بين يدي السلطان العلامات الحمر من الحرير، وكان للشعراء عادة في الإنشاء يوم العيد تعرف بالأضحوكة.[7] كانوا من خلال هيأتهم المضحكة وحركاتهم يوصون السلطان بفعل الخير ويذكرونه بالأعمال الخيرية التي قام بها من سبقه من الملوك خلدت أسماؤهم ولازال الناس يذكرون محاسنهم.

---

1 ـ الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية، مرجع سابق، ص 279.

2 ـ الادريسي، مصدر سابق، ص 22 .

3 ـ محمد الغربي، مرجع سابق، ص 615.

4 ـ مرجع نفسه.

5 ـ مرجع نفسه، ص 616 .

6 ـ سعد فرح، مرجع سابق، ص 89.

7 ـ ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 240 ـ 241 .

كما أحيا سكان السودان الغربي مناسبات دينية أخرى مثل الاحتفال بأول السنة الهجرية وعاشوراء وبيوم ختم القران في الجامع الكبير الذي يصادف دائما احد أيام الجمع.[1]

12 ـ الكرم: عادة اجتماعية محمودة وسط سكان السودان الغربي وخاصة الملوك حيث أكرم منسا سليمان ابن بطوطة بالعطايا عند قدومه.[2] وهذه العادة كانت من تأثير المغاربة على الوضع الاجتماعي لبلاد السودان الغربي.

إذن السودان الغربي كغيره من البلدان يتميز بطابع اجتماعي وله ما يميزه عن غيره من عادات وتقاليد نابعة من عمق المجتمع السوداني، ومكتسبة عن طريق التأثير والتأثر وقد مس هذا لتأثير الجوانب الذاتية (الأسرة، المرأة، الطفل) إضافة إلى الجوانب المجتمعية.

المطلب الثالث: التطور العمراني للسودان الغربي:

أولا: وضعية العمران في السودان الغربي: كان الطراز العمراني في السودان الغربي بسيط جدا تميزه البناية ذات السقف المستدير، وذات الشكل الهرمي المغطى بالقش، أما الجدران فكانت تبنى بالطوب ونادرا ما كانت تتخللها الحجارة وتوجد بالقرب من البيت زريبة لتربية المواشي.[3]

وهو ما يؤكد بساطة فن العمارة قبل انتشار الإسلام لتتحول إلى مباني منظمة مبنية بالطين الأحمر خاصة في المدن، ثم تطور صيغة البناء وتم إدخال أنماط معمارية حديثة تعكس مدى تحسن المستوى المعيشي لدى سكان السودان الغربي والواضع أن للاستقرار السياسي دور هام في الاهتمام بالعمارة وفن العمران خاصة قبل القرن 10هـ/16م، إلا انه بعد هذا التاريخ بدأت المنطقة تدخل مرحلة اضطرابات سياسية خاصة بعد الحملة المغربية على مملكة سنغاي سنة 99هـ/1591م كان لها أثرها السلبي على سير الحركة العمرانية.

ثانيا: عوامل تأسيس حواضر السودان الغربي:

الموقع الجغرافي: حيث تقع في الطرق التجارية للقوافل الناقلة للذهب من بلاد السودان الغربي أو القادمة إليه من شمال الصحراء.

- وقوعها بالقرب من المجاري المائية.

---

1 ـ محمد الغربي، مرجع سابق، ص 621.

2 ـ سعد غيث مطير، التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي، دار الرواد، طرابلس، د ت، ص 210.

3 ـ عبد القادر زيادية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية وجنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 52 .

– عوامل سياسية حولت تنبكت وغاو وولاته وجنى إلى مراكز وهج فكري في القرن 16م.[1]

ثالثا: الحواضر الإسلامية في السودان الغربي:

ان مفهوم المدينة ودورها الايجابي في التطور ظهرت كمرحلة كبرى من سلم التطور البشري يصلها الإنسان بعدما يكون قد تخطى مراحل سابقة يتم الاعتماد فيها على أساليب بسيطة، فبعدما تمكن الإنسان من ضمان شرابه ومأكله وملبسه تسنى له أن ينظر إلى أمور الحياة، ومن ثم توسعت المدينة وانبثقت عنها صور الحضارة المعنوية والمادية التي نعرفها الآن عن الإنسان في العصور التاريخية المختلفة.[2] ومنها فقد ارتبط وجود الحواضر الإسلامية في السودان الغربي على أربع عناصر وهي:

أولا: المسائل المالية المرتبطة بجمع الضرائب وحركة النقود بين التجار والسكان في المدينة.

ثانيا: وجود السوق التي تجتمع فيها المعاملات التجارية.

ثالثا: وجود المدارس التي تكون في العادة ملاصقة للمساجد.

رابعا: وجود تنظيم داخل الحاضرة من حيث الشوارع والمهن وتوفر الأمن وتلبية حاجيات السكان ويحيط بالمدينة سور كبير لحمايتها من الأخطار الخارجية.[3]

ومن تلك الحواضر الإسلامية الكبري في السودان الغربي نجد:

أ/– حاضرة تمبكتو: بنيت هذه المدينة من طرف الملك منشأ سليمان حوالي عام 610هـ/1200م، في حين يرجع البعض تاريخ تأسيسها إلى أواخر القرن 5هـ/12م. كما يذكر المؤرخ موريس دولافوس والذي قال كذلك أن الطوارق كانوا ينزلون بهذه المدينة الطبية الطاهرة الزكية الفاخرة في وقت الصيف ثم يرتحلون وقت الخريف.[4] تقع المدينة على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى على الضفة اليسرى من خليج نهر النيجر وتحديدا تقع شمال العاصمة باماكو عاصمة دولة مالي حاليا تبعد عنها حوالي ألف وثلاثمائة كيلومتر.[5] وهي مدينة ذات موقع استراتيجي ومركز حيوي فهي ملتقى طرف القوافل القادمة من الشمال الإفريقي ما جعلها تتبوأ مكانة مميزة في بلاد السودان الغربي.

1 ـ عثمان منادي، حواضر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، مقال منشور في مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 12، ص 82.

2 ـ عبد الجكيم العفيفي، موسوعة 100 مدينة إسلامية، دار النهضة المصرية، القاهرة ، 1986، ص 07.

3 ـ عثمان منادي، مرجع سابق، ص 108.

4 - Maurice Delafosse, les noires de l'Afrique, édition collection Payot, paris, 2010, p 43.

5 ـ الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية، مرجع سابق، ص 99.

قبل مجي منسا موسى للحكم لم يكن لتنبكتو أي وجه حضاري أو معماري واضح، فقد كانت بيوتها تبنى بالطوب المخلوط بالتبن ونادرا ما تتخللها الحجارة لكن بوصول منسا موسى إلى الحكم، فقد احدث ثورة حقيقية في المجال العمراني، فخلال تواجده بمكة المكرمة لأداء فريضة الحج سنة 1324م تعرف على مهندس وشاعر أندلسي هو أبو إسحاق الساحلي.[1] واصطحبه معه إلى مالي فقام هذا الأخير الذي كان بارعا في الهندسة والتصميم بإحداث ثورة في الطراز المعماري السوداني وخاصة على المساجد باعتبارها بيوت الرحمان,إضافة إلى الطابع المعماري الذي جسده الساحلي في القصر الملكي الذي أبدع فيه حيث ظهرت موهبته العمرانية في القبة المربعة الشكل التي غطت قصر منسا موسى حيث زينها بالكلس وأنواع الصباغ والنقوش فكانت من أجمل المباني وأتقنها ونالت دهشة منسا موسى واستغرابه.[2]

أصل تسمية المدينة بتمبكت أو تمبكتو: يرجع بعض المؤرخين أصل التسمية إلى سيدة من الطوارق كانت القوافل تترك أمتعتها الزائدة عندها واسمها "بكت" أما لفظ (تن) في لغة الطوارق هي المكان وبالتالي فمعنى تنبكت هو مأوى السيدة بكت أما ابن بطوطة فضبط اسمها ب" تنبكتو " بإضافة الواو وسكون النون والكاف.[3]

وهناك رواية أخرى ترجع أصل تسمية المدينة إلى بئر موجودة في تلك البلاد قامت القبائل التي تجوب الصحراء بحفرها لتوفير المياه للشرب للمترددين على تلك المنطقة,إذ سمي هذا البئر "بئر بكتو"[4] وعليه سميت المدينة وهو الرأي المرجح لتلك المرأة التي يدعون أن ظروف الحياة في تلك الفترة لا تسمح لتلك المرأة التي يدعون أن تبكت سميت باسمها بالبقاء وحدها في تلك الصحراء وهو ما يضع الرواية الأولى عن تسمية المدينة ب "تنبكت".

الطابع العمراني لمدينة تنبكت: بالإضافة إلى الطراز العمراني للقصر الذي تم ذكره سابقا فقد بني الإقامة الملكية المعروفة ب (madougou) في أقصى شمال غرب تمبكتو بالإضافة إلى بنائه لأسوار المدينة حتى تكون سدا منيعا للهجمات الخارجية.

1 ـ أبو إسحاق الساحلي الغرناطي: ابن الفقيه الفرضي محمد الأنصاري الأوسي الغرناطي المعروف بالطواجن، من أهل العلم، جال بلاد المغرب والقاهرة ودخل الشام والعراق واليمن والحجاز، ثم سار إلى بلاد السودان حيث بلغ فيها أقصى المكانة والشهرة توفي ب " تومبكتو " خلال فترة حكم منسا سليمان 1346 م.

2 ـ نور الدين شعباني، الفن والعمارة في مملكة مالي الإسلامية، مقال صادر عن مجلة المعارف للبحوث التاريخية، ص 248.

3 ـ ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 707.

4 ـ عبد القادر زيادية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493- 1591م، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، د ت، ص 100.

بالإضافة إلى مسجد تمبكتو الذي بناه منسا موسى بعد عودته من الحج والذي سماه المسجد الكبير الذي بني بالأجر وأقام له صومعة من خمسة صفوف والقبور لاصقة بها من خارجها في جهة اليمين.[1]



مسجد جينغارى بير تومبكتو، عمر 07 قرون.[2]

أهمية حاضرة تنبكت: كانت أهم مدينة لنقل الثقافة إلى باقي حواضر السودان الغربي وهي المدينة التي يقال عنها ملح يأتي من الشمال، ذهب من الجنوب ولكن كلمة الله وكنوز الحكمة لا يمكن العثور عليها إلا في تنبكت، وبقيت المدينة ذات إشعاع حضاري إلى غاية نهاية القرن السادس عشر بدأت تضعف بعد غزو المغاربة البلاد.[3]

ب /– حاضرة جنى: تعد جنى العاصمة الثقافية الثانية بعد تنبكت، تم تأسيس هذه المدينة في منتصف القرن 2هـ أي حوالي سنة 800م على نهر النيجر ويذكر السعدي أنها كانت على الكفر في أوسط القرن الثاني للهجرة واسلم أهلها عند تمام القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد.[4]

– الطابع العمراني لمدينة جنى: بالإضافة لما قام المهندس الأندلسي أبا إسحاق الساحلي في عهد مسنا موسى في تطوير العمران في مدينة جنى فقد ظهر مهندس مغربي أخر هو معلوم إدريس المراكشي،[5] الذي أضاف للمدينة

1 ـ عبد الرحمان السعدي، مصدر سابق، ص 87.

2 ياسين الكزباري ، طوارق ملوك مملوك الصحراء ، مجلة الجزيرة ، العدد 50، افريل 2016، ص 35.

3 ـ عبد الحكيم عفيفي، مرجع سابق، ص 178.

4 ـ عبد الرحمان السعدي، مصدر سابق، ص 11.

5 ـ حسين مهدي صالح، جنى من المملكة الوثنية إلى المملكة الإسلامية، معهد البحوث والدراسات الإسلامية، القاهرة، ص 02.

الطابع العمراني المغربي خاصة إذا علمنا أن اغلب سكان جنى من الحرفيين والبنائين فامتزجت عبقرية المهندس مع احترافية البناء فكانت في غاية الإتقان.

فقد تكونت المنازل من الطابق الأول به الساحة صغيرة، كان الطابق الأول يستعمل لحفظ الأرز والذرى البيضاء وإسطبل للحيوانات، أما السقف فكان مغطى بقطع خشبية متباعدة ويغطيها الطين ويتم الصعود إلى السطح عن طريق سلم من عشر درجات.[1]

أما بالنسبة للجامع الكبير في مدينة جنى فصممه المهندس سابق الذكر إدريس المراكشي في عهد منسا موسى، فكان الجامع نموذجا حقيقيا للتمازج المعماري السوداني مع العمارة المغربية.[2]

تحتوي المدينة على سوق جلبت إليها أعداد كبيرة من التجار خاصة تجار الملح وتجار الذهب، وقد كثرت بها المدارس حتى عجت بوقود الطلاب إليها فكانت بها جامعة لتدريس العلوم الدينية والعلوم الأخرى فكانت يذلك ذات قيمة دينية و علمية ومعرفية.[3]

ج/– حاضرة غاو: يطلق عليها أيضا اسم جاو وهي حاليا ضمن الحدود السياسية لمالي شرق العاصمة باماكو وهي تقع شرق تنبكت،[4] على مسافة اربعمائة وخمسون كيلومتر ويحكم موقعها القريب من المغرب الإسلامي فقد كانت أول مدينة لها اتصال مع الإسلام إذ يذكرها البكري بقوله "أهلها مسلمون وحاوليها مشركون وهي أكثر البلاد ذهبا،[5] وسكانها خلطاء من الزنوج والعرب وألفلان والطوارق".[6] أصبحت غاو عاصمة مملك السنغاي كانت غاو تتمتع بخصائص إستراتجية جغرافية اقتصادية وعمرانية هامة حيث تحولت إلى مراكز تجاري كبير منذ أواخر القرن 6هـ/9م.

1 ـ معلوم إدريس المراكشي: يتفق المؤرخون على أنه كان من مساعدي الساحلي.

2 ـ نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، ط02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 174.

3 ـ عبد الرحمان السعدي، مصدر سابق، ص 71.

4 ـ مرجع نفسه، ص 21 .

5 ـ عبد الحكيم العفيفي، مرجع سابق، ص 18.

6 ـ مبروك الهادي الدالي، مملكة مالي الإسلامية، مرجع سابق، ص 108.

الطابع العمراني لمدينة غاو: بخلاف المد اشر والقرى التي لم يكن لها طابع عمراني مميز في غاو إلا أن قصور الملك مبنية على الطراز الغربي الأندلسي، مساحته كبيرة تتضمن أجنحة منها ما يخص الحريم ومبنها ما يخص الجواري تم إحصاء مائة وخمسون مدرسة.[1] تم تأسيس اغلبها في عهد الاسكيا محمد الكبير (ت 1492م).

يعد الجامع الكبير الذي بناه منسا موسى مركزا علميا بمثابة جامعة ونظرا للتوافد الكبير للطلبة والعلماء فقد اتسع عمران المدينة إذ يذكر ابن بطوطة عن مدينة غاو أنها من المدن الكبرى في بلاد السودان الغربي أنها كانت ذات مكانة علمية وثقافية كبيرة. هذا وقد أصبحت غاو حاضرة تضاهي المدن الأخرى وكان الأجانب يشكلون فئة كبيرة بالمدينة وكان منهم التجار بالإضافة إلى الأئمة والفقهاء والقضاة الذين يختصون بالنظر في الجرائم العامة والجنح والمخالفات بين المواطنين.[2]

د /– الحواضر الأخرى: تقل الحواضر الأخرى أهمية من حيث العمران ونخص بالذكر ولاته التي تأسست في القرن الأول هجري و تقع إلى الشمال الغربي من مدينة تنبكت، وهي حاليا أراضي تابعة لدولة موريتانيا. ولاته تبدو من حديث ابن بطوطة بمثابة مركز للتجارة وكانت تعد مركز استقبال القوافل في طريقها إلى السودان الغربي.[3]

تتميز ولاته بعمارة امتزجت فيها الهندسة الأندلسية مع الهندسة المغربية مما جعلها قلعة غاية في الجمال، فالبيوت في ولاته عالية فسيحة تضم العديد من الغرف عادة تتكون من طابقين ولكل منزل بابان احدهما مخصص للضيوف والأخر للنساء عامة.

تتزين ولايته بجامع قديم تتميز منارته بارتفاعها الذي يصل إلى ثماني أمتار لكنها لا تكاد تظهر كون الجامع موجود في أسفل المدينة، إضافة لحواضر أخرى تكاد تكون متشابهة في طابعها العمراني.

شهدت العمارة في السودان الغربي تطور كبيرا بسبب مجئ مهندسين من المغرب والأندلس وبسبب توفر الذهب وإرادة الحكام في مضاهاة التطور الواقع شمال الصحراء والأندلس وخاصة الملك منسا موسى الذي كان له الفضل على كل حواضر السودان الغربي، وبذلك أصبحت هذه الحواضر معروفة بطراز معماري يمزج بين خصائص العمارة المغربية والسودانية.

1 ـ مبروك الهادي الدالي، مملكة مالي الإسلامية، مرجع سابق، ص 92.

2 ـ مبروك الهادي الدالي، قبائل الرابيش (سلسلة القبائل الإفريقية)، ط 01، دار الكتب الوطنية، د م، ص 29 .

3 ـ ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 676.

إذن شهدت العمارة في السودان الغربي تطورا كبيرا بعد مجيء مهندسين من المغرب والأندلس، بسب توفر الذهب وإرادة الحكام في مضاهاة التطور الواقع شمال الصحراء والأندلس وخاصة الملك منسى موسى الذي كان له الفضل على كل حواضر السودان الغربي، وبذلك أصبحت هذه الحواضر معروفة بطراز معماري يمزج بين خصائص العمارة المغربية والسودانية.

المبحث الثالث: دراسة مقارنة بين الأوضاع الاجتماعية والتطور العمراني بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي.

المطلب الأول: تأثير بلاد المغرب الأوسط على بلاد السودان الغربي من الناحية الاجتماعية.

المطلب الثاني: تأثير بلاد المغرب الأوسط على بلاد السودان الغربي من الناحية العمرانية.

المبحث الثالث: دراسة مقارنة اجتماعية وعمرانية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي:

تمهيد: تعتبر العلاقات بين المغرب الإسلامي عموما والأوسط خصوصا مع السودان الغربي قوية، وتعود جذورها لفترات بعيدة قبل انتشار الإسلام ببلاد المغرب، وقد ساهم المغاربة في نشره بعدة طرق ومنافذ، وفي التأثير على سكان هذه البلاد من خلال الهجرات التي سارت إليها من التجار والجاليات المغربية التي أقامت هناك وهذا في العديد من المجالات كالجانب الاجتماعي والعمراني والثقافي:

المطلب الأول: تأثير بلاد المغرب الأوسط على بلاد السودان الغربي من الناحية الاجتماعية:

1/ السكان: عرف السودان الغربي توافدا كبيرا للمسلمين قبل دخول الإسلام فقد استوطن الكثير من المغاربة مختلف أقطار هذه البلاد، رغم تعاقب المماليك ما أسهم في دخول الإسلام ,ولعل السبب الرئيسي في ذلك هو سلوك الحكام الذي أدى بشكل كبير إلى توافدهم.[1]

تعتبر غانا من أهم المماليك التي تأثرت بالمسلمين، حيث يورد البكري مدى تأثر الإفريقيين بالمسلمين، فقد وفروا لهم الظروف الملائمة من إقامة وغيرها، فظهرت العلاقات من خلال المصاهرة بينهم ما خلق جيلا مختلفا ومختلطا يحمل ثقافات جديدة ساعدت على انتشار الإسلام.[2]

كما اعتمد الملك بيسي المتوفى 455هـ/1065م، على هؤلاء المسلمين في إدارة شؤون الحكم في مملكته، فرغم انه وثني إلا انه كان محبا للعدل وكذلك خليفته ابن أخته حذا حذوه ب إعطائه أهمية كبيرة للمسلمين.[3]

أما مملكة مالي فقد شهدت تطورا ملحوظا في عدد سكانها حيث أنها تضم مزيجا من القبائل والأجناس بتعدد انتماءاتهم العرقية والاجتماعية، فقد ضمت في تركيبتها البشرية سكانا من عرب وزنوج، وكذا السكان الأصليين مثل: الديولا، البمبارا، والونجارة.

سكن هؤلاء في تجمعات سكانية ومدن وقبائل،[4] كما أن مملكة سنغاي الأخرى ضمت خليطا من العناصر السكانية التي أسست المجتمع، وقد غلبت فئة السكان الأصليين الذين ينتسبون إلى شعوب السودان الغربي، كما

1 ـ نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر، الجزائر، 2015، ص 37.

2 ـ عطية محزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 252.

3 ـ نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ، المرجع السابق، ص 38.

4 ـ عطية محزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 288.

أنها امتزجت بعناصر أخرى بربرية من قبائل لواتة وصنهاجة وزناتة، وعربية ويهودية، وكذا عشائر لغورماشي والموسى، وهم الصيادون البربريون القادمون من الغابات الاستوائية والسوركو القادمين من شرق النيجر.[1]

2 / العادات والتقاليد: عرف مجتمع السودان الغربي تغيرا في العادات والتقاليد، وهذا بعد دخول الإسلام، حيث أنه اقترن بمبادئ الدين الإسلامي، مما أثر إيجابا عليه من خلال تحقيق التطور والإزدهار الاستقرار والاستمرارية، ومن العادات القبيحة التي تغيرت في بلاد السودان الغربي نذكر:

أ/–الأسرة: كانت الأسر السودانية القديمة تعتمد على المرأة وقد أولتها مكانة مرموقة، حيث أن القرابة المتشكلة حولها أساس بناء العشيرة أو القبيلة، إذ يعتبر الأبناء أعضاء في جماعة الأم، لذا ترتبت عدة التزامات بين الفرد وقرابته من جهة أمه، فالأخوال يؤدون دورا أكبر من دور الأب، ودليل ذلك الملك بيسي ملك غانا الذي ولى الحكم لإبن أخته. وقد استمرت هذه الظواهر في القبائل التي لم تدخل الإسلام حتى القرن (10هـ/16م)، إذ أنها لم تملك نظاما للأسرة حيث يشير الوزان إلى أنه ليس للرجل امرأة خاصة به، وإنما كانوا يجتمعون حسب محبتهم ودرجة إعجابهم ببعضهم.

وبوصول الإسلام الذي تمكن من إصلاح المجتمع السوداني من مجتمع أموسي أساسه الأم إلى مجتمع يتمحور حول الأب بشكل تدريجي، بفضل ترسيخ الزواج ورفض الأب الاعتراف بالأولاد الذين ليسوا من صلبه، كما أن القضاء ساهم بدوره في اختفاء الكثير من الممارسات المحرمة، كما لعبت الهجرة دورا مهما من خلال الأسرة المغربية.

هذا ما أدى لانعكاس وتغير التوريث والانتقال في السلطة، باعتبار أن الأسرة كانت نوع الأسرة الممتدة الواسعة وهذا راجع لشكل الملكية والحاجة للتعاون في الأنشطة الزراعية السائدة.[2]

ب/– الزواج: لم يعرف مجتمع السودان الغربي قبل الإسلام صداقا ولا عقدا، كما لم يضع حدا لعدد النساء اللاتي يمكن للرجل الزواج بهن خاصة فئة الحكام والملوك، ولعل السبب الرئيسي في ذلك هو رغبة الملوك وشيوخ العشائر في مصاهرة عدد كبير من القبائل لإقامة التحالفات، أما عامة الناس فكان بسبب توفير اليد العاملة من خلال إنجاب الكثير من الأولاد.[3]

---

1 ـ نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ، مرجع سابق، ص 60.

2 ـ نور الدين شعباني، علاقة ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثارها الحضارية بين القرنين الخامس والتاسع هجريين، رسالة ماجيستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 02، 2005–2006 م، ص206.

3 ـ حسين بوبيدي، تأثير بلاد المغرب على بلاد السودان الغربي، محاضرات غير منشورة.

ومن طرق الزواج الذي ساد في المجتمع السوداني، المبادلة حيث يعطي الرجل أخته أو ابنته لرجل أخر مقابل زواجه من أسرته أو أقاربه وعشيرته، أي بالمقايضة كما لا يمكن للشباب أن يتزوجوا بمفردهم، إذ أنهم مخيرون بان يبحثوا على زوجات لدى زعماء القبائل أو انتظار وفاة كبار السن ليرث منه زوجته مقابل الوعد بتقديم بضائع وخدمات أو الالتزام بتقديم بناته في المستقبل كزوجات لهم.

كان للإسلام دورا مهما في تغير العادات من خلال التأثير الثقافي للجاليات المغربية، ودور الفقهاء السودانيين في تبيان الحلال والحرام، ونشر العلم في المساجد والمدارس، وفعالية مؤسسة القضاء في إخضاع الأفراد لأحكام الشرع، هذا ما أدى لتشكيل مؤسسات اجتماعية وفق منظومة تتوافق مع الشريعة الإسلامية مع استمرار بعض الأعراف المحلية.[1]

إن الزواج يعد من أهم العادات والتقاليد التي طرأ عليها تغير من خلال إعادة تشكيل الأسر السودانية من جديد, فتبنى السودانيون مفاهيم الشرف والعرض.[2]

لقد تم هذا التغير في بناء الأسرة وفق قواعد إسلامية ,إلا أنه كان بطيئا كما انه لم يكن شاملا غير انه استطاع تحقيق الهدف المراد منه ، وقد اختلف من منطقة لأخرى، فقد نجح في الحواضر الكبرى عكس الأرياف والقبائل, إذ أن تواجد الأسر المغربية في المدن ألقى بظلاله ,من خلال التأثير على حياة أفراد وسكان المدن والحواضر إذ كانت كنموذج يقتدى به.[3]

ت/المـــرأة: لم تحظى المرأة بمكانة واحدة في الأهمية والحقوق، حيث اختلفت أوضاعهن باختلاف الوسط الاجتماعي والجغرافي، حيث تميزت النساء السودانيات بحرية تدبير شؤونهن الخاصة، كما استطعن أن يؤثرن في الحياة السياسية، وقد برز ذلك في أم الملك المالي منسى موسى الثاني[4] (775هـ-789هـ/1374م-1387م) التي ساهمت في تنصيب زوجها صندكي خلفا لابنها المتوفي، كما في بعض المناطق ساهمت في الإدارة ودافعت عنها بالجيش الذي يتبع لها.

1 ـ أحمد الشكري، مرجع سابق، ص200.

2 ـ محمود كعث، تاريخ الفناش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تح: حماة الله ولد سالم، د.ط، دار الكتب العلمية، لبنان، 2012، ص37.

3 ـ بشار أكرم داود الملا، التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي من القرن 05هـ-09هـ/11-15م، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص163.

4 ـ الملك المالي منسى موسى الثاني: من أشهر ملوك مملكة مالي الإسلامية وصفته بعض المصادر بالصلاح والتقوى فقد وصفه السعدي بقوله أنه رجل عادل، أما ابن خلدون فقد وصفه بأنه رجل صالح وملك عظيم تولى الحكم 706هـ/1324م وقد أشتهر برحلة حجه. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص 270.

وفي بعض القبائل كانت المرأة تصاحب الرجال حيث يكون لهن أصدقاء من الرجال الأجانب، فيدخل الرجل ويجد زوجته مع رجل أجنبي فلا ينكر ذلك.

إن دخول الإسلام للسودان أثر كثيرا في الممارسات التي كانت تقوم بها المرأة، إذ أنها كانت تحظى بحرية زائدة، وهذا تبعا للأعراف التي كانت قائمة إذ حد منها، وأدى لتخلص المجتمع السوداني منها، وأكسب المرأة كرامتها وفق المنظومة الإسلامية.[1]

ث/الطفل: تميز المجتمع السوداني القديم بظاهرة وأد الأطفال (المواليد الجدد)، وهذا بسبب المعتقدات الروحية التي تربط بينه وبين ما قد يحل بالأسرة أو القبيلة من ضرر، كالتخلص من الطفل المشوه وقد كانت هذه العملية تتم بطريقة وحشية. وقد عرفت هذه الظاهرة تراجعا بدخول الإسلام، فأصبح السودانيون يحتفلون بالمولود الجديد ويقدمون الهدايا لأهله، ويذبحون العقيقة لأجله، ويدعون الجيران والأقارب لحضورها، وتقام لها احتفالات ومراسيم تمتد إلى منتصف الليل.[2]

لقد تأثر السكان الأصليون للسودان الغربي بالجاليات الإسلامية، فأصبحت العائلات تكلف العبيد المقربين بتربية أطفالهم، كما أدخلوهم إلى المدارس والكتاتيب من اجل حفظ القران.[3]

إن التغير الذي ساد بلاد السودان الغربي في ممارساته نحو الطفل، أدى لظهور جيل جديد أسهم في تطور ورقي هذه البلاد مع تعاقب وتوالي المماليك.

ج/اللباس:

1/ظاهرة العري: كان السودان الغربي قبل القرن (5هـ/11م) يشهد ظاهرة العري بين سكانه، وقد استمرت هذه الظاهرة حتى احتكاكهم بالتجار المسلمين واستقرار الجاليات المغربية عندهم, إذ كانوا يلبسون أوراق الأشجار لكي يستتروا بها حيث أن الإمكانيات النسيجية لعبت دورا مهما في ذلك فلم تكن متوفرة، وهو ما إنعكس بالسلب على سكان هذه المنطقة، إلا أن الإسلام بمبادئه استطاع أن يجبر هؤلاء السكان على ستر عوراتهم واستكمال ملابسهم فانتشر اللباس المغربي.[4]

1 ـ بشار أكرم داود الملاح، مرجع سابق، ص 161.

2 ـ زمان عبيد وناس والكعبي هشام ناصر حسين، تاريخ علاقات العرب مع إفريقيا جنوب الصحراء، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1435هـ/2014، ص266، 264.

3 ـ أحمد الشكري، مرجع سابق، ص203.

4 ـ عطية محزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص251.

2/ انتشار اللباس المغربي: استطاع المغاربة الوافدون للسودان الغربي وبعده انتشار الإسلام بين سكانه من أن يقللوا من ظاهرة العري تدريجيا فشاع الزي الإسلامي بقميص أبيض اللون، وكذا العمائم والاعتماد على الجلود.[1]

ثم انتشرت العديد من الألبسة، اختلفت حسب طبقات المجتمع وقدرتهم المالية، فالملوك كانوا يلبسون الأقمشة الحريرية والقطنية المستوردة من المغرب، وكان اللونان الأزرق والأسود من أشهر الألوان التي يلبسها الملوك.[2] كما لبس العلماء القميص الأبيض والعمامة، أما عامة الناس فقد لبسوا مختلف الأنواع من السراويل، والحجاب بالنسبة للنساء، والبرانس والصنادل المصنوعة من النعال.[3]

ح/ المأكولات (الطعام): تأثر السودان الغربي بثقافات وعادات المغرب في المأكولات، فظهرت العديد من الأطباق كأكل السمك ومختلف أنواع الماشية والتمر والأرز، حيث كانوا يعتمدون عليه كثيرا في طعامهم كما اعتمدوا على الخضر والفواكه، وهذا بالاعتماد على الشريعة الإسلامية.[4]

كان لتحول غالبية سكان مالي للإسلام اثر قوي في حياتهم سواء الاجتماعية أو الثقافية ,غير أن هذا التغيير لم يكن سهلا كما اتسم بطول المدة ,وهذا للعادات والتقاليد والأعراف الموروثة جيلا عن جيل, فكان على سكان هذه المملكة أن يقرروا بقناعة فالإسلام جاء بأمور وسمات اجتماعية مغايرة لما كانوا عليه، كظاهرة الربا والغش والكيل وأكل أموال الناس بالباطل، وسرعان ما تلاشت هذه العادات وحلت محلها تعاليم الإسلام.[5]

أما العادات والتقاليد التي استمرت بعد انتشار الإسلام, وهي ما تعلق بتصرفات الأفراد واتجاه بعضهم أو اتجاه الحاكم وغيره وبعض العادات، فقد تمكنت من البقاء في مجتمع مملكة مالي رغم دخول الإسلام، كظاهرة السحر حيث تعاظم عدد السحرة وسيطروا على عقول البسطاء الذين كانوا يعتقدون بمفعوله، ولكن كثيرا ما كان يحكم على الساحر بالقتل من طرف السلطان.

كما عرفت مملكة سنغاي تغيرا أيضا في عاداتها وتقاليدها، ففي حالات الوفاة كانوا يسيرون خلف الجنازة في خشوع كبير، ويدفن الميت يوم وفاته عكس ما كانوا قبل الإسلام لكن الطبقة الأولى مثل الملوك والولاة

1 ـ بشار اكرم داود الملاح، مرجع سابق، ص 175.

2 ـ محمد الغربي، الحكم المغربي في السودان نشأته اثاره، ج1، د.ط، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، بغداد، 1982، ص609.

3 ـ الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد الحجي ومحمد الأخضر، ط2، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص170.

4 ـ محمد الغربي، مرجع سابق، ص613.

5 ـ عطية محزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص284.

احتفظت بهذه العادة، كما كانت لهم مقبرة خاصة بهم.[1] وفي الأعياد والمناسبات يتزين عامة الشعب بالملابس المغربية، وتقضى هذه الأيام في الغناء والصخب وتدق الطبول والموسيقى، بينما تلبس الطبقة الأولى من الحكام وكبار الموظفين أساور وسلاسل من ذهب.

خ/ الأعياد والمناسبات: أقام السودانيون الاحتفالات فقد كانوا يميلون إلى المرح والبهجة، وقد تعددت وتنوعت الأعياد والمناسبات فمنها الدينية والوطنية والشعبية والاجتماعية،[2] ونذكر أهم الأعياد والمناسبات التي أحتفل بها في بلاد السودان بعد دخول الإسلام:

1/ إحياء شهر رمضان: اهتم السودانيون بشهر رمضان باعتباره من أهم الشعائر الدينية، فقد عرف شهر الصيام بشهر العبادات والصدقات, وهذا دليل على اعتناءهم بتطبيق شعائر الدين الإسلامي، وكذا الأهمية البالغة التي أولاها ملوك السودان الغربي له.[3]

2/ عيـــد الفطر: بظهور هلال شوال وإعلان رؤية هلال عيد الفطر، كانت تدق الطبول وتطلق الأبواق احتفالا وتمجيدا لهذا العيد ولمكانته بين المسلمين، فقد كان يلبس فيه أجود أنواع الألبسة، كما توزع فيه الصدقات من المأكولات بتعدد أنواعها، وكذا تبادل الهدايا والهبات.[4]

3/عيد الأضحى: حظي هذا العيد أيضا باهتمام شأنه شأن عيد الفطر من مديح ولباس جديد إلا أنه يختلف في انه كان تخصص له أضحية، إما من الإبل أو الجواميس أو البقر أو الغنم أو الماعز كل حسب قدرته وحسب مكانته الاجتماعية. كما يتبادل الناس فيه الهدايا من لحوم وغيرها، وتقام فيه أغاني المدح والشعر دون أن ننسى التكبير والتهليل قبل صلاة العيد، كما ذكر ذلك ابن بطوطة بوصفه لحضوره عيدي الفطر والأضحى بمالي.[5]

1 ـ عطية محزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 327 .

2 ـ محمد الغربي، مرجع سابق، ص619.

3 ـ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: الشيخ محمد عبد المنعم العربان، ط02، ج02، دار بيروت للطباعة، لبنان، 1980، ص 244-245.

4 ـ خديجة د إسماعيل، تأثير بلاد المغرب على بلاد السودان الغربي إجتماعيا. مذكرة ماستر في تاريخ بلاد المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2017-2018م، ص 68.

5 ـ ابن بطوطة، مصدر سابق، ص63 .

د/ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف: أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف كان يكتسي طبعا فريدا حيث يعتبر من المناسبات العظيمة فتدق الطبول، وتمدح الأشعار والمداح وتزين المساجد، كما تلقى المواعظ والدروس على الناس واصفة لحياة خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.[1]

ذ/ الكرم: اشتهر أهل مملكة مالي بالجود والكرم وحسن الضيافة، وقد برز ذلك حينما كرم الملك منسى موسى ابن بطوطة بالهدايا حين قدومه لبلاد السودان، كما أكرم أبا إسحاق الساحلي.[2]

ر/ انتشار العدل: يروي ابن بطوطة انه حضر مجلس السلطان إذ اشتكى له احد الفقهاء من الظلم في بلادهم، حتى قال السلطان للإسراء (إني بريء من الظلم ومن ظلم منكم عاقبته ومن علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه والله حسيبه وسائله.[3]

وعليه نستخلص من خلال ما تم ذكره أن السلطان كان محبا للعدل، كارها للظلم والجور، هذا ما أدى لتحقيق الاستقرار والتقدم والازدهار كنتيجة لذلك

ز/ السحر والشعوذة: كان السحر من العادات والممارسات الوثنية التي سادت المجتمع السوداني قبل دخول الإسلام, فقد كانوا يؤمنون به، ويعتقدون بمفعوله، إلا انه وبدخول الإسلام تمكن من الحد من هذه الآفة الخطيرة الفتاكة بالمجتمع وهذا في المدن، إلا انه بقي في بعض القبائل.

3/ التغير الذي أحدثه المغاربة على طبقات السودان الغربي:

ا/ في طبقة الملوك: تغيرت سلوكيات وممارسات الملوك في طرق حكمهم وكذا تصرفاتهم مع الرعية، في الأيام العادية أو المناسبات، فقد اعتمدت على الشريعة الإسلامية، وأقيمت قاعات لاستقبال الناس ومجاورة لقاعات العرش.[4]

ساهم الإسلام بشكل كبير في تخلص ملوك بلاد السودان الغربي من الوثنية والحد من بعض العادات السلبية وخاصة عند مقابلتهم كالرعية كظاهرة الترتيب حيث كان السكان هذه المنطقة يقومون بإفراغ التراب على رؤوسهم تعبيرا على الاحترام والتبجيل فغيروها للتصفيق، وهذا دليل على الاحترام.[5]

---

1 ـ ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان العبر،ج6، مصدر سابق، ص268.

2 ـ محمد الغربي، مرجع سابق، ص621.

3 ـ ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 200.

4 ـ ابن بطوطة، مصدر سابق، ج2، ص373.

5 ـ البكري، المغرب، مصدر سابق، ص 176.

كما برزت ظاهرة جديدة تمثلت في استعمال الأسماء العربية الإسلامية للملوك كإدريس وموسى، وتغيرت معظم العادات فأصبح الملوك يصافحون رعاياهم ويجلسون في مجالس أكلهم. [1] ولعل ابرز الملوك الذين اتصفوا بالبساطة وحسن الأخلاق المنسى موسى فقد كان يلبس ملابس بسيطة ومتواضعا مع الناس في تعاملاته فقد اشتهر من خلال رحلة حجه.[2]

2/ في الطبقة الوسطى: (القضاة، التجار، العلماء، الأئمة والمدرسين): عرفت الطبقة الوسطى هي الأخرى تغيرا وهذا من خلال الملامح التي أصبحت تميزها عن ما كانت عليه سابقا، ولعل ابرز فئة شكلت هذه الطبقة تأثرت هي فئة القضاة حيث أصبح يتولى هذا المنصب إلا من توفر فيه الشروط اللازمة، وهذا قصد تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال حفظ الحقوق والأموال والأنفس والأعراض.[3]

لقد أسندت مهمة القضاء في بلاد السودان الغربي بعد وصول الإسلام لخيرة العلماء وهناك من أحرج عندما يعرض عليه هذا المنصب لعظمته، وقد اتسمت الأحكام بالصدق والحقيقة في إصدار الأحكام،[4] وتشير مختلف المصادر إلى أن اغلب القضاة كانوا من التجار الوافدين لبلاد السودان الغربي وهذا لعلمهم بأصول الدين ومن أبرزهم: القاضي عبد الرحمان التميمي الذي وفد مع المنسى موسى خلال عودته من رحلة الحج،[5] وقد عمت مختلف مدن مملكة مالي وكان اغلبهم مغاربة.[6] والقليل منهم من أهل تلك البلاد.

أما مملكة سنغاي فقد أعطت للقاضي منصبا رسميا وسلطات واسعة مستقلة، فقد كان قاضي القضاة يباشر مهامه في العاصمة ويعين قضاة باقي المدن والأقاليم ومعظم من تولى القضاء من اسر سودانية مشهورة عكس مالي. ومن خلال هذا يمكننا إدراك المكانة التي حظي بها القضاة فقد اتسمت بالاحترام والتقدير، اذ أصبح القضاة من حواشي الملوك،[7] ما جعلهم يحصلون على العديد من الهدايا والهبات وهذا بيانا لمكانتهم.

1 ـ محمود كعث، تاريخ الفناش، مصدر سابق، ص35.

2 ـ أحمد الشكري، مرجع سابق ، ص 249.

3 ـ البكري، المغرب، مصدر سابق، ص 175-176.

4 ـ نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مرا: عمر حكيم، مكتبة أطلس، دمشق، 1961، ص 118.

5 ـ ابن خلدون، العبر، ج07، مصدر سابق، ص 418.

6 ـ محمد الغربي، مرجع سابق، ص 393.

7 ـ ابن بطوطة، مصدر سابق، ص377.

إن الاهتمام الذي حظي به القضاة كان له نفس الصدى بالنسبة للعلماء وهذا لما قدموه للمجتمع,كما إن التجار هم أيضا احتلوا مكانة رفيعة فقد أسهموا في ازدهار التجارة وتقدم بلاد السودان الغربي،[1] إذ تحروا الحلال في معاملاتهم وابتعدوا عن كل ما يشوبه الحرام.

3/ في الطبقة الثالثة: (العبيد، أصحاب الحرف الصغرى، الفلاحين): عرفت هذه الطبقة العديد من مظاهر التحول وهذا ابتداء من القرن السابع هجري فقد حاولت التأقلم مع التحول الذي عرفته المنطقة على المستوى الاقتصادي، فقد لعب الإسلام دورا مهما وهذا من خلال الحث على العمل والكسب الحلال،[2] كما أن الصناعات تطورت وازدهرت إذ تعلم سكان السودان الغربي العديد من الحرف من العرب الوافدين حيث طوروا صناعاتهم كما اختصت كل قبيلة بمهنة اشتهرت بها مثل قبيلتي التكرور والسوشك اختصت بالنسيج.[3]

كما عرفت أيضا تومبكتو الصناعات النسيجية فقد استعمل السودانيون القطن والصوف في الحياكة اليدوية، وكذا تطور صناعة الجلود من خلال دبغ جلود من حيوانات المنطقة كما اشتهرت أيضا باستخراج الذهب والنحاس إذ اعتمد عليهما في سك النقود إذ لم تكن متداولة في بلاد السودان الغربي. أيضا أسهم هذا التغير في تزايد عدد الفلاحين بشكل كبير هذا ما انعكس على وفرة المحاصيل الزراعية وساهمت في تطور اقتصاد بلاد السودان الغربي. وبالرغم من موقف الشرع من ظاهرة الاسترقاق إلا أنها استمرت في المجتمع السوداني وأصبحت جزءا لا يتجزأ منه.

اذن ظهر جليا تأثر مجتمع بلاد السودان الغربي سواءا من الجانب السكاني، فإستقرار المغاربة في تلك البلاد ساهم بشكل كبير في نشر الإسلام، وجانب من العادات، إذ قضى على السلبية فتغيرت وإتسمت بتغير مستوحى من تعاليم الدين الإسلامي، كما ساهم في الحد من العنصرية بالرغم من بقاء الطبقات، إلا أنه أكسب الإنسان مكانة في مجتمعه وفق مكانته، وهذا بفضل وصول العلماء المسلمين الذين برهنوا مكانة الإسلام وبيان عظمة ورحمة الخالق بعباده.

1 ـ رضوان هواري، التحولات الإقتصادية والإجتماعية في السودان الغربي من القرن 07-10هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة تلمسان، الجزائر 2020، ص 252.

2 ـ مرجع نفسه، ص 252-253.

3 ـ نعيم قداح، مرجع سابق، ص123.

المطلب الثاني: تأثير بلاد المغرب الأوسط على السودان الغربي من الناحية العمرانية:

1/- طور العمران ببلاد السودان الغربي:

بعد دعوة المنسى موسى ملك مملكة مالي من الحج سنة (1325م/ 725هـ) سعى لتعزيز الصلات بين بلاده وبلاد المغرب،[1] فإصطحب معه الأديب والشاعر المهندس أبو إسحاق إبراهيم الساحلي.[2] هذا الأخير ساهم بشكل كبير في تطوير العمران بهذه المملكة إذا أنجز منشآت دينية ومدنية من مساجد وقصور.. وغيرها.

أضفى خلالها مهاراته الفنية ومؤهلاته العلمية في فن المعماري المستنبط من الزخرفة الأندلسية، كما نشر العمارة الإسلامية بالسودان الغربي.[3]

2/ أهم المنجزات العمرانية لأبي إسحق الساحلي في مملكة مالي:

أ/ بناء مسجد غاو: إشتهر السلطان منسى موسى بكثرة بناء المساجد فقد كان كما يذكر السعدي يبني مسجدا في كل مدينة تدركه صلاة الجمعة بها.[4]

ولعل من أبرز المساجد التي بناها مسجد غاو أشرف على بناءه الساحلي، وقد إعتمد على تقنية جديدة هي الطوب المحروق إذ لم يكن هذا النمط معروفا لدى سكان بلاد السودان الغربي، فجعل مئذنته هرمية الشكل إذ يعد أول بناء من هذا الطراز يدخل السودان.[5]

ب/ الجامع الكبير بتومبوكتو: يسمى هذا الجامع بجيسكرى بيري أي المسجد الكبير بناه أبو إسحاق إبراهيم الساحلي، وكذا عبد الله الكومي الموحدي الغدامسي على الطراز المغربي الأندلسي الإسلامي، فقد بنيت صومعته على خمسة صفوف في أوائل القرن الثامن هجري، كما ألحقت به قبورهم من جهة اليمين فهذه من عادات بلاد السودان إذ يدفنون موتاهم في رحاب مساجدهم.[6]

---

1 ـ سفيان عابد، مملكة مالي في عهد الملك المنسى موسى (1312-1337م) مجلة دراسات إفريقية، مج03، ع07، الجزائر، 2019، ص 160.

2 ـ أبو إسحاق إبراهيم الساحلي: هو الأندلسي إبراهيم الساحلي المعروف بالطويجن مهندس معماري وشاعر وأديب ساهم في إدخال نمط جديد بعمارة السودان الغربي. أنظر السلاوي شهاب الدين، الإستقصا لأخبار دول المغرب، ج2، تح: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص152.

3 ـ حسن الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ص 163.

4 ـ عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، مصدر سابق، ص56.

5 ـ مسعود الخالدي، أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الأديب والمهندس المعماري وأثره في نشر فن العمارة الإسلامية في السودان الغربي، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والإجتماعية، مج 04، ع07، الجزائر، جوان، 2018، ص43.

6 ـ سفيان عابد، مرجع سابق، ص161.

احتل هذا المسجد موقعا ممتازا وسط مدينة تومبوكتو، وعرف هذا المسجد العديد من الإصلاحات والتوسعات على يد العاقب بن القاضي محمود وهذا بقصد زيادة قدرة إستعابه للمصلين وكذلك في فترة حكم السلطان الإستيبا داوود في مملكة سنغاي، فقد ساهم في إضافة تحسينات وزخارف اقترنت بصومعته وقد تعاقب على هذا المسجد العديد من الأئمة ساهموا في الحياة الدينية للمنطقة في عهدي مملكتي مالي وسنغاي.[1]

ج/ مسجد سنكرى: هو مسجد جديد بمدينة تومبكتو المعروف ب سنكرى وتعني المسجد الجديد لدى أهل السودان بنته سيدة تسمى سنكرى وهي سيدة ثرية ,وقد بني على الطراز المغربي، عرف تطورا إذ بنى المنسى موسى مئذنته ,فقد اشرف عليها ابو إسحاق الساحلي،[2] وقد كان شكلها يعتمد على الطراز المعماري الإسلامي المغربي والأندلسي،[3] كما كانت القبور أيضا ملتصقة به من جهة اليمين مثلما يشير الى ذلك السعدي.[4] ويعد هذا الجامع أشهر المراكز الثقافية في تومبتكو حيث تعلم فيه عديد العلماء والفقهاء، وقد احتل مكانة علمية.[5]

د/ قصر السلطان منسى موسى: عرفت مدينة تومبتكو تشيد القصور أيضا، فقد تسارع المهندسون في بناء افخم القصور لتعكس صورة العمارة الإسلامية، ولعل أبرزها قصر دار السلطان الذي بناه الساحلي من الحجر والجبس والكلس وزخرفه بالخشب المطعم بالذهب والفضة فأضحى تحفة فنية رائعة.[6] ويشير لذلك ابن خلدون على قول احدهم انتقل من الحجاز مع السلطان منسى موسى أن الأخير أكرم الساحلي باثني عشر مقدار من الذهب.[7]

هـ/مدينة جني: اعتنى الملك منسى موسى كثيرا بمدينة جني إذ تعد العاصمة الثقافية الثانية بعد تومبكتو، فسعى لبذل مجهودات كبيرة لتطوير جانبها العمراني وكانت تضم في تركيبها طبقة الحرفيين ومنهم البنائين.[8]

غير أن المهندس المغربي معلوم إدريس المراكشي كان له دور مهم في تشييد مدينة جني،وقد برع في إضفاء اللمسة المغربية على العمارة السودانية التي بدأها الساحلي، فعرفت بناياتها واتسمت بالأناقة والجمال والإتقان، حيث تكونت المنازل من طابق أول مؤلف من عدة أروقة.

1 ـ الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية، مرجع سابق، ص104.

2 ـ فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية، المسلمون في غرب إفريقيا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2007، ص 104.

3 ـ صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 99-100.

4 ـ عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، مصدر سابق، ص 28-57.

5 ـ مسعود الخالدي، أبو إسحاق، مرجع سابق ، ص45.

6 ـ ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 45.

7 ـ ابن خلدون، العبر، ج06، مصدر سابق، ص 416.

8 ـ نور الدين شعباني وزينب جعني، الفن والعمارة في مملكة مالي الإسلامية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع04، الجزائر، ص 251 .

تحتوي على مخادع صغيرة يوضع فيها الماء داخل جرات من الطين، وساحة صغيرة، اما الطابق الأرضي موزع بنفس الطريقة، استعمل كمخازن لحفظ المنتجات الزراعية كالأرز والذرة، أو كإسطبل للحيوانات.ويؤدي إلى ساحة أخرى توجد خلف المنزل ويتم الصعود من الطابق الأرضي إلى العلوي عن طريق سلميين واحد يوجد عند المدخل والأخر في الساحة، بالداخل. أما السقف فكان مغطى بقطع خشبية متباعدة عن بعضها بمسافات معينة، يغطيها الطين لتشكل سطحا صغيرا محاطا بحاجر مرتفع قليلا ويتم الصعود إليه عن طريق سلم.[1]

كما أقيم أيضا مسجد بمدينة جني هذا الأخير يمثل نموذجا حقيقيا للتمازج المعماري السوداني مع العمارة المغربية، أما عهد منسى سليمان فقد كان زاخرا بالانجازات العمرانية، حيث بنى المساجد ورفع المآذن ووسع مدينة نياتي العاصمة وجعل بناياتها محاطة بأسوار من طين تشبه حدائق دمشق وسقفها على شكل قبة.[2]

واعتبر القرن الرابع عشر مولد الأسلوب السوداني في العمارة حيث يقوم هذا الأسلوب على البساطة والسهولة، فكانت المساجد تشبه القلاع تعلوها أبراج،[3] من أبرزها: مسجد طوية الذي احتفظ بالأسلوب المغربي في مئذنته المضلعة العالية وشكله العام المستطيل أو المربع، أما قبور السلاطين والنبلاء فبنيت بالطين المجفف على شكل نصف دائرة في تومبتكو وجنى، وشكل هرم مدرج في غاو،[4] كقبر السلطان محمد الحاج.

والملاحظ أن مواد البناء اختلفت في القصور والمساجد وبعض مواد بناء البيوت والأكواخ فالحجارة واللبن المجفف أو الطين المشوي لم يكن في متناول الجميع، والقباب الطينية المخروطة كانت الطابع العام لبناء الأكواخ المستديرة وتستقر على أعمدة خشبية، بنيت عادة على ثلة صغيرة تجنبا لمياه الأمطار ومزينة للداخل والخارج.[5]

اذن من خلال ما تناولناه في تناولناه يمكننا إبراز تأثير بلاد المغرب الأوسط على بلاد السودان الغربي في الناحية العمرانية إذ ساهم المسلمون بشكل فعال في تطوير المدن السودانية وبناء المساجد والمدارس القرآنية وغيرها، ويعتبر أبو إسحاق الساحلي من أشهر المهندسين الذين ساهموا في ذلك فقد أضفى الطراز المعماري المغاربي على البنايات السودانية ما أكسبها جمالا ورونقا إذ شيد الكثير من المساجد والقصور التي تعود أشكالها للتراث المغاربي الإسلامي.

---

1 ـ نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1975، ص147.

2 ـ مرجع نفسه، ص 150 .

3 ـ نعيم قداح، إفريقيا في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص160.

4 ـ مرجع نفسه، ص 165.

5 ـ محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، مرجع سابق، ص 99.

خاتمة

من خلال دراستنا موضوع العلاقة بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي من الناحيتين الإجتماعية والعمرانية ومدى تأثير بلاد المغرب الأوسط على بلاد السودان الغربي، حاولنا استخلاص جملة من النتائج والاستنتاجات المتمثلة في:

– تحقيق الهدف الأسمى من خلال نشر الإسلام والتوسع أكثر في الساحل الإفريقي.

– العلاقة المتميزة التي نتجت بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي بفعل الإحتكاك بين الطرفين خاصة من الناحية الإقتصادية، فقد أصبحت مدن السودان الغربي مراكز هامة لتجارة المغاربة الذين كانت قوافلهم تصل محملة بالسلع، وترجع محملة بسلع أخرى كالملح والذهب.

– التطور الحاصل في مجتمع السودان الغربي بفعل دخول الإسلام حيث قضى على العادات السلبية ،كالطقوس التي تتنافى مع الشريعة الإسلامية كالسحر والشعوذة وطقوس أخرى وكذا القضاء على عبادة الأوثان، وأضفى أخرى جديدة عليهم سواءا في المأكل والمشرب والملبس وطريقة العيش والإحتفال بالمناسبات المختلفة.

– إسهامات العديد من العلماء في نواحي الحياة سواء الإقتصادية أو الإجتماعية وحتى الثقافية والعمرانية.

– الدور البارز الذي لعبه المهندس والشاعر أبو إسحاق الساحلي في تطور عمران السودان الغربي، إذ ساهم بشكل كبير في نقل الطراز المعماري المغاربي وحتى الأندلسي والتحديث فيه، بفضل حكمة بعض الحكام كالمنسى موسى الذي وضع ثقته الكاملة في شخص أبو إسحاق، هذا ماتجلى في المدن الكبيرة التي أضحت عبارة عن مراكز حضارية وعلمية وتجارية، حيث كان لها الفضل في نشر الدين الإسلامي وكذا العلم والثقافة إذ تشكلت توامة بين حاضرتي بجاية وتلمسان وكذا تمبكتو وغاو .

كما طرأ أيضا تغير في الجانب السياسي فقد تخلى الحكام في بلاد السودان الغربي على ظاهرة توريث إبن الأخت وتحويل الحكم إلى الإبن الذي أصبح يرث أباه وفقا للشريعة الإسلامية.

ورغم الصعاب والعراقيل الأمنية والطبيعية المصاحبة لإجتياز الصحراء الكبرى فإن المغاربة رفعوا التحدي وساهموا بشكل كبير في تأسيس علاقة بين المغرب وبلاد السودان الغربي، وإستقرار عدد كبير من الأسر المنحدرة من المغرب الأوسط خصوصا والمغرب الإسلامي عموما في بلاد السودان الغربي خاصة العلماء منهم ما أدى لتأثير في جميع مجالات الحياة اليومية والحضارية.

البيبليوغرافيا

ببليوغرافيا

أ /ـ المصادر

1- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين (القرن الثالث هجري)، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

2- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأصفار، تحقيق عبد المنعم عريان، ط2، ج2، دار بيروت للطباعة، لبنان، 1980.

3- ابن حوقل أبو القاسم، صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1979.

4- إبن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979.

5- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في إختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج1، دار المغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2013.

6- الإدريسي الشريف أبي عبدالله، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

7- البكري أبوعبد الله، المسالك والممالك، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992.

8- الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، 1977.

9- الدرجيني أبو العباس أحمد، المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم محمد صلاي، ط2، د.ن .

10- الذهبي شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير من الأعلام، ج12، دار الكتاب العربي، 1990.

11- الزركلي خير الدين، الأعلام. ج08، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.

12- الزهري أبي عبد الله بن أبي بكر ،كتاب الجغرافيا، تح: محمد الحاج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1968 .

13- السعدي عبد الرحمان بن عبد الله، تاريخ السودان، مطبعة هوداس، باريس، 1981.

14- السلاوي شهاب الدين، الإستقصا لأخبار دول المغرب، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب والدار البيضاء، 1997.

15- العمري ابن الفضل، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ.

16- القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوى، تح: وداد القاضي، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1970.

17- القزويني محمد زكريا، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1960.

18- كعث محمود، تاريخ الفناش في ذكر الملوك وأكابر الناس، تح: حماة الله ولد سالم، د.ط، دار الكتب العلمية، لبنان، 2012.

19- الوزان الحسن الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد الأخضر، ط2، ج1، دار الغرب، بيروت، 1983.

20- اليعقوبي أحمد،كتاب البلدان، المكتبة المرتضية ومطبعتها الحيدرية، ج2، النجف، 1918.

ب/- المراجع:

1- إبراهيم محمد عبد الفتاح، إفريقيا من السنغال إلى نهر جوبا، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1961.

2- أبو عيانة فتحي محمد، جغرافيا إفريقيا دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

3- باري محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، المسلمون في غرب إفريقيا دار الكتب، ط1، بيروت، 2007.

4- بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

5- بن قرية صالح، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

6- بن قرية صالح، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991.

7- بوروبية رشيد، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج3، الجزائر 1984 .

8- جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.

9- جودت يوسف عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

10- الدالي الهادي مبروك، التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء نهاية القرن 15 إلى 18م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999.

11- الدالي الهادي مبروك، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن 13 إلى القرن 15م، دار الملتقى للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2001.

12- زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

13- زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسيقين 1493-1591، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر.

14- زمان عبيد وناس والكعبي هشام ناصر حسين، تاريخ علاقات العرب مع إفريقيا جنوب الصحراء، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2014.

15- زناتي محمود سلام، نظم وعادات، مجموعة مقالات، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، مصر، 1993.

16- سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب العربي الكبير في العصر الإسلامي، دراسة تاريخية عمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، لبنان، 1981.

17- الشكري أحمد، الإسلام والمجتمع السوداني "إمبراطورية مالي 1230-1430هـ"، ط1، إصدارات المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 1999.

18- الطمار محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

19- العربي اسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

20- العفيفي عبد الحكيم، موسوعة 100مدينة إسلامية، دار النهضة، القاهرة، 1986.

21- الغربي محمد، الحكم المغربي في السودان الغربي نشأته وأثاره، مؤسسة الخليج للطباعة، بغداد، 1982.

22- الفيتوري عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة إنتشار الإسلام، ط1، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1918.

23- قداح نعيم، افريقية الغربية في ظل الإسلام، مكتبة أطلس، دمشق، 1961.

24- قداح نعيم، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1975.

25- الماحي عبد الرحمان عمر، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، ط1، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1996.

26- الملاح بشار داوود، التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي من القرن (5-9هـ/11-15م)، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2013.

27- مؤنس حسن، ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1980.

28- يوسف جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3-4هـ/9م-10م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

29- Maurice Delafosse les noirs de l'Afrique, collection Payot, paris, 1922.

ت/- المراجع المترجمة:

1- هوارد. س، أشهر الرحلات في غرب إفريقيا، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996.

ث/- المقالات العلمية:

2- بوعزيز يحي، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية، أوت، الجزائر، 1975.

3- حمدان عبد المجيد مقتدر، روايات ياقوت الحموي عن دولة المرابطين (448-541هـ/1056-1146م)، مجلة الدراسات التاريخية والأثار، ع 50، 2015 م.

4- الخالدي مسعود، أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الأديب والمهندس المعماري وأثره في نشر فن العمارة الإسلامية في السودان الغربي، مجلة الساورة، مج 04، ع 07، الجزائر، جوان 2018.

5- شعباني نور الدين، جعني زينب، الفن والعمارة في مملكة مالي الإسلامية ، مقال صادر عن مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية محكمة، مج01، ع 04، الجزائر، 2015 .

6- الطيبي أمين توفيق، أبو إسحاق الساحلي أديب ومهندس معماري أندلسي في مملكة مالي، جريدة الحياة الدولية، ع 12791، لبنان 1998/02/11 .

7- عابد سفيان، مملكة مالي في عهد الملك المنسى موسى (1312-1337م)، مجلة دراسات إفريقية، مج03، ع 07، الجزائر، ماي، 2019.

8- كركوت عبد خليف، العامل الإقتصادي في فتوحات المغرب العربي، مجلة الجامعة العراقية، مج 20، ع 01، العراق، 2008.

9- المالكي علي رؤوف، الموارد المالية والأوضاع الإجتماعية لتاهرت كما ورد عن رسالة ابن الصغير المالكي ت 290 هـ/912م، المجلة الأكاديمية العلمية العراقية، العدد 32، العراق، 2014.

10- منادي عثمان، حواضر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ، مقال منشور في مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية محكمة، مج 03، ع 12، الجزائر، 2017.

ج/- الرسائل الجامعية:

- اطروحات دكتوراه:

1- أعزيبي زهوة، ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633-962هـ /1235-1554م)، اطروحة دكتوراه ، جامعة المسيلة، الجزائر، 2017 .

2- سعد فرح ، الحياة الإجتماعية والإقتصادية في السودان الغربي من خلال النوازل الشيخ باي بن عمر، اطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، وهران ، 2016/2015.

3- هواري رضوان ، التحولات الإقتصادية والإجتماعية في السودان الغربي ، اطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة تلمسان، الجزائر، 2020/2019.

- رسائل ماجستير:

1- شعباني نور الدين، علاقة ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثارها الحضارية بين القرنين الخامس والتاسع هجريين، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، 1427هـ/2006.

2- عقبة السعيد، الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع هجري من خلال كتاب الدراية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر.

- مذكرات الماستر:

1- دباح جديجة، إسماعيلي نسرين، تأثير بلاد المغرب على السودان الغربي إجتماعيا ، مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الوادي، الجزائر، 2017- 2018.

ح/- الملتقيات والندوات العلمية والمحاضرات:

1- شعباني نور الدين، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر.

2- عشي علي، تكتيك وإستراتيجية عبد المؤمن بن علي العسكرية في حروبه حصار المهدية وسقوطها أنموذجا، الملتقى الدولي للنظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني، جامعة الجزائر 02، مجلة الأصالة دراسات تراثية الجزائر، المجلد 05، الجزائر 2015.

03- عشي علي، ثورة أبو يزيد مخلد كيداد بالأوراس صفحة لامعة من كفاح أهل المحافظة في إستقلالهم، مؤتمر الأوراس عبر التاريخ بخنشلة يومي 18-2013/02/19 م، منشورات المتحف الوطني الإخوة الشهداء بولعزيز بخنشلة، المجلد 01، 2013.

فهرس المحتوى

رقم	الموضوع	صفحة
01	ورقة الواجهة	/
02	شكر وعرفان	/
03	إهداء	/
04	المختصرات	/
05	مقدمة	05-02
06	المبحث الأول: لمحة عامة عن بلاد المغرب الأوسط اجتماعيا وعمرانيا	27-06
07	المطلب الأول: جغرافية وسياسية المغرب الأوسط.	13-07
08	المطلب الثاني: التطور الاجتماعي في بلاد المغرب الأوسط	21-14
09	المطلب الثالث: التطور العمراني في بلاد المغرب الأوسط.	27-21
10	المبحث الثاني: لمحة عامة عن بلاد السودان الغربي اجتماعيا وعمرانيا.	47-28
11	المطلب الأول: جغرافية وسياسة السودان الغربي.	35-29
12	المطلب الثاني: التطور الاجتماعي للسودان الغربي.	41-35
13	المطلب الثالث: التطور العمراني للسودان الغربي.	47-41
14	المبحث الثالث: دراسة مقارنة بين الأوضاع الاجتماعية والتطور العمراني بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي.	-48
15	المطلب الأول: تأثير بلاد المغرب الأوسط على بلاد السودان الغربي من الناحية الاجتماعية.	57-49
16	المطلب الثاني: تأثير بلاد المغرب الأوسط على بلاد السودان الغربي من الناحية العمرانية.	60-58
17	خاتمة	62-16
18	ببليوغرافيا	68-63
19	فهرس المحتوى	70-69